

غسان في الذاكرة.. ٣٤ عاماً على استشهاده

سياسية عربية
كل الحقيقة للجماهير

AL-HADAF

Institute for Palestine Studies
The Library
Discarded

الهدف

لبنان وفلسطين

... صمود يبدد وهم الغزاة



AL-HADAF - No. 1380 - 5 / 8 / 2006 ل. ل. ١٠٠٠ - س. ل. ٢٠ - الثمن - الثلاثون - السنة الثامنة والثلاثون - العدد ١٣٨٠ - ابر (أغسطس) ٢٠٠٦

إميل سموط الراوي التشكيلي للتراث الفلسطيني

حينما سمعت خبر رحيل الفنان التشكيلي الراحل إميل سموط، لا أدري لماذا استحضرت ذاكرتي صورة صديقنا المغترب الفنان عماد عبد الوهاب، الذي ظل لسنوات طويلة يكتب الصفحة التشكيلية في "الهدف" التي باتت علامة من علاماتها المميزة.

ربما لأن عماداً الذي عايش فناننا الكبير إميل سموط عن قرب، وخاصة في سنوات الجمر المشتعلة أيام بيروت، كان سيكتب عن المسيرة الإبداعية لإميل، ورفيقة دربة الفنانة تمام الأكلحل بطريقة مختلفة بالتأكيد، ما بين معرفته به كفنان ومبدع، ومعرفته به كإنسان وصديق حمل على أكتافه على مدار أكثر من أربعين عاماً من مسيرته الإبداعية قضية شعبه، وعذابات وآلام لجوئه التي جسدها الراحل ووثقها بالريشة واللون والحركة أعمالاً فنية خالدة سوف تروى للأجيال القادمة بأصدق صورة، وأجمل تعبير المأساة التراجيدية لهذا الشعب، الذي كان إميل الطفل في مدينته الصغيرة "اللد" شاهداً حياً على فظاعتها، مختزناً أثناء التيه صورها المؤلمة في داخله، ليضجرها فيما بعد، لوحات وجداريات ثرية بشخصها، ورموزها، والثوانها ودلالات طقوسها التي تجسد العمق الحضاري والتاريخي لشعبه الفني بترائه وطقوسه وعاداته الأصيلة.

لقد واكب الفنان سموط فيما بعد حكايات وأحداث شعبه تبعاً من موقع إلى موقع ليصبح رائداً من رواد الفن التشكيلي الفلسطيني وأحد أعلامه الكبار، بل الراوي الأول لمأساة هذا الشعب بالصورة واللون والحركة.

ستظل المرأة الفلسطينية التي تحتل مساحات كبيرة في لوحات سموط وجدارياته بعيونها الحاملة، وثوبها المطرز بالرموز والدلالات رمزاً لفلسطين الأرض والوطن بزيتونه، وأشجاره وشواطئه وجباله الشامخة... ستظل حاضرة تستصرخ الضمائر، والهمم لتحريرها من مغتصبها الذين عاثوا في الأرض فساداً... ستظل شاخصة تنظر إلى الأفق بانتظار تحقيق هذا الحلم الذي لن تطويه الأيام مهما طال الزمن، ومهما تعددت الأجيال، فهو الوعد - الحق، ولا بد لهذا الوعد أن يتحقق.

علي الكري



تبيد أوهام الغزاة

يشير المشهد السياسي في المنطقة وحجم التحركات السياسية المترافقة مع العدوان الإسرائيلي الهمجي والبربري على الشعبين الفلسطيني واللبناني وطبيعة المواقف السياسية للقوى الإقليمية والدولية والمحلية المتوافقة مع الرؤية الإسرائيلية لشرعنة الممارسات غير المسبوقة في وحشيتها من أجل التمهيد لعملية جراحية تستهدف قتل الأجزاء والعناصر الحية للأمة والتي تمثلها المقاومة في فلسطين والعراق ولبنان والمحاولات المحمومة لمختلف الأطراف من أجل خلط الأوراق لتغيب حقيقة العدوان الإسرائيلي وأبعاده، لمصلحة إبعاد الأنظار عن حقيقة المخططات الأمريكية والإسرائيلية الهادفة إلى ضرب المقاومة من جذورها لمصلحة مشروع استعماري استيعادي أمريكي إسرائيلي يبشر بولادة شرق أوسط جديد. وعلى حد تعبير أحد القادة السياسيين، فإن الأعمال الحربية الإسرائيلية ستقتل الولد وأمه وستزرع الخراب والدمار في المنطقة، ومشاهد الجرائم الإسرائيلية في لبنان وفلسطين شواهد حية على طبيعة النظام الذي تريده لنا أمريكا وإسرائيل خاصة إذا علمنا أن أمريكا التي غاصت في الوحل العراقي وجدت نفسها منبوذة لدى شعوب المنطقة بحكم ممارساتها ومخططاتها الهادفة للنيل من الإنسان والمصير والمستقبل العربي. لذلك تحاول من خلال تكليفها لإسرائيل بخوض حرب قذرة ووحشية تمارس فيها كل أنواع الإبادة بحق البشر والبنى التحتية من أجل تكريع المنطقة وإجبارها على التخلي عن دعم المقاومة والمشروع النهضوي العربي. لهذا فإن من واجب كل القوى والتيارات والاتجاهات في ساحتنا الوطنية التنبيه لمخاطر الادعاءات الأمريكية الإسرائيلية والتي يحملها المبعوثون للسلطة لإقناعها بضرورة فصل ما يجري في فلسطين عن المعركة الدائرة في لبنان، في الوقت الذي تواصل فيه إسرائيل بدعم ومساندة أمريكية وغياب عربي تدمير كل شيء في فلسطين ولبنان تجري محاولات تسويق المبادرة الأمريكية التي تستند إلى مساندة إسرائيلية ودوافعها التوسعية الإجرامية. ولهذا فإن الدعوات لقبول هدنة مع عدو يستبج أرضنا ويدمر مرتكزات مشروعنا الوطني ويتنكر لحقوقنا ويواصل سياسة الاغتيال والاعتقال لكل فئات شعبنا لدرجة أنه يعتقل ثلث الوزراء والنواب في سابقة لم يشهد التاريخ مثيلاً لها.

ونؤكد أن خيرة شعبنا مع هذا العدو وممارساته تستدعي ضرورة إحباط كافة مخططاته لمصلحة دعم المقاومة وحققها المشروع في مواصلة طريقها إلى أن يتحقق النصر بإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس، وضمان حق العودة. لذا فمن واجبنا أن نؤكد:

أولاً: على رفضنا المطلق لكل الدعوات المطالبة بهدنة مجانية تقدم لمجرمي الحرب الذين يواصلون قتل الأبرياء وتدمير مؤسساتنا وبيت الرعب والدمار في كل مكان من وطننا فلسطين.

ثانياً: رفض الاستجابة المجانية لتسليم الأسير الإسرائيلي وضرورة ترافقها مع:

- 1- انسحاب القوات الإسرائيلية من كافة الأراضي التي أعادت احتلالها في قطاع غزة.
- 2- الإفراج الفوري عن الوزراء والنواب الأسرى دون قيد أو شرط الذين جرى اختطافهم بشكل همجي.
- 3- إجراء عملية تبادل تضمن إخراج الأسرى ارتباطاً بأجندة فلسطينية تحدد الأولويات.

ثالثاً: مناشدة الأسرة الدولية واللجنة الرباعية بوقف الاعتداءات الإسرائيلية والانتهاكات والتجاوزات المتواصلة للقانون والأعراف الدولية.

رابعاً: الطلب من الجامعة العربية والدول الإسلامية والأفريقية ومؤتمر عدم الانحياز وكل الشرفاء في العالم للضغط على الأمم المتحدة لتأمين حماية دولية لشعبنا من تجاوزات إسرائيل وممارساتها.

خامساً: الالتزام الوطني بتنفيذ ما تم الاتفاق عليه وطنياً من خلال سرعة اتخاذ الإجراءات العملية لرؤية بنود الاتفاق الثور مما يساهم في تصليب الوحدة الوطنية وتوحيد الخطاب السياسي والإعلامي الفلسطيني وتوفير مرتكزات وأدوات توحيد الفعل النضالي الوطني وتوجيه بإعادة بناء ممثلنا الشرعي والوحيد كشرط ضروري لمواجهة استحقاقات المرحلة وتحدياتها لرؤية وطنية موحدة قادرة على صيانة حقوقنا وحماية مكتسباتنا من أية محاولة للعبث بها من أية جهة تسعى لإرضاء الحلف الأمريكي الصهيوني ومخططاته المستتلة بمواقف عربية تسعى لتقديم خدمة لهذا المشروع حفاظاً على مستقبلها، وإدارة الظاهر لكل الالتزامات والمسؤوليات العربية اتجاه القضية المركزية العربية والمصير العربي.



موضوع الغلاف:

لبنان وفلسطين..
صمود يبده وهم الغزاة



٢٤ عاما على استشهاد غسان كنفاني



صمود يبده وهم الغزاة

فأ هذا العدد



الحدث:

حرب عنصرية برعاية دولية..... جواد عقل

فلسطين - لبنان: صمود يبده وهم الغزاة

الحرب الصهيونية في صيفها الماطر

المقاومة التي بددت الوهم..... أبو أحمد فؤاد..... ١٠

عودة البرابرة

نقاش المزايم الصهيونية

في حربها على لبنان..... أحمد م. جابر..... ١٢

من (الوهم المتبدد)

إلى (الوعد الصادق)..... خالد حسين..... ١٥

غزة هاشم

عصية على الغزاة..... عبد الكريم الحشاش..... ١٨

كل الدعم للمقاومة..... صلاح محمد..... ٢٠

وصل الخط المتقطع

من لبنان.. إلى غزة..... أبو إسكندر السوداني..... ٢٢

شؤون دولية:

القطبية الأمريكية

بين التهديد الكوري والتحدي الإيراني..... محمد صوان..... ٢٤

ثقافة وفنون:

غسان كنفاني في الذاكرة

قصة المقاومة عند غسان كنفاني..... د. عبد الله أبو هيف..... ٢٨

الروابط الفلسطينية

في أعمال كنفاني الروائية..... د. حسن عليان..... ٣٠

غسان كنفاني في جوانب عدة..... وليد عبد الرحيم..... ٣٤

غسان كنفاني أديبا ومتناضلا..... حمزة برقاي..... ٣٦

غسان كنفاني في الذاكرة..... فؤاد ديب..... ٣٨

وداعا اسماعيل شموط

ريشة فلسطين الحرة..... ناصر الحارثي..... ٤٠

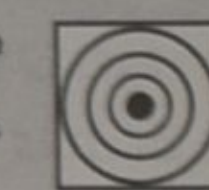
AL-HADAF
الهدف

سياسية عربية. شهرية

هـ أب (أغسطس) - ٢٠٠٦ - العدد - ١٣٨٠ - السنة الثامنة والثلاثون
الثلثون ل.س - ١٠٠٠ ل.ل

AL-HADAF - No.1380 - August - 2006

كلمة



بعد الفشل العسكري المخجل، والعجز عن تحقيق أي انجاز غير القتل العبيث والتدمير المنهجي لبيوت المدنيين وأرواحهم، جاءت مجزرة قانا وكان دولة الاجرام الصهيونية بإعمالها القتل المجاني في قانا كمن يطلق النار على رأسه، داقة المسامير الأخير في نعش مشروعها الأرعن ومعها شركائها الفاسدين سواء عصابة المحافظين الجدد في واشنطن أو أولئك العرب الممعنين في عار جينهم وتأميرهم الغادر على أطفال قانا.

نعم.. شركاء بالدم هم، شركاء في الجريمة، ولكن هذه المجزرة بالذات هي التي كشفت عورتهم وهي التي وضعتهم خارج أي سياق مفهوم أو طبيعي. هؤلاء الحكام العرب، لم يعد وجودهم مقبولا ولم يعد من الممكن تحملهم أكثر من ذلك.. أفلا يرحلون فيريحوننا من عناء شتمهم ومن غثيان احتقارهم.

شركاء هم في دم أطفال قانا.. بأصابعهم ضغطوا على الزناد وبعيونهم التي لا ترى إلا علم سيدتهم أمريكا، صوبوا.. وبأموالهم دفعوا ثمن الصواريخ..

أما زلنا بعد نبحث عن القاتل..

أما زلنا بعد نملك القدرة على رؤية وجوههم المتعفنة تلوث شاشاتنا..؟

فلا نامت أعين الجبناء .



أسسها
عام ١٩٦٩
الشهيد
غسان كنفاني

رئيس التحرير: جواد عقل

سكرتير التحرير: أحمد م. جابر

المدير الفني: زهدي العدوي

ثمن النسخة

لبنان ١٠٠٠ ل.س
سوريا ٢٠ ل.س
الأردن ٥٠٠ فلس
العراق ٥٠٠ د.ع
الإمارات ١٠ درهم
الجزائر ١٥ ديناراً
ليبيا دينار واحد
تونس ١.٢٥ د.ت
صنعاء ١٥ ريالاً
السودان ٦ جنيهات
المغرب ١١ درهم
أمريكا وكندا ٣ دولار
ألمانيا ٥ ماركات
إسبانيا ٣٠٠ بيزيته

الإشتراكات

قيمة الاشتراك السنوي بما فيها أجور البريد:
سوريا ٦٠٠ ل.س - لبنان والأردن ٣٠ دولار
بقية الدول العربية ٥٠ دولار

يتم الاشتراك بإرسال إشعار الإيداع بقيمة الاشتراك السنوي (أو نصف السنوي) باسم رئيس التحرير على العنوان التالي:
بنك بيروت والبلاد العربية - شتورا - لبنان
رقم الحساب:

(AC.No.0013-373179-001)

أو بإرسال شيك بنكي باسم رئيس التحرير
دمشق / ص.ب: ٣٠١٩٢

المكاتب:

دمشق، ص.ب ٣٠١٩٢ - هاتف: ٦٣٢٨٢٦٧ - فاكس: ٦٣١٩٣٧٤
بيروت، ٣٠٩٢٣٠ - عمان، ٦٩٦٣٤٠ - الجزائر، ٥٩٤٥٤٨ - ٣٨٤٣٠٤
بغداد، تليفاكس ٧٧٨٢٦٩٠ - صنعاء، ٢٠٥٨٤٩
الموقع الرسمي للجهة الشعبية لتحرير فلسطين على الإنترنت:

<http://www.pflp.net>

الهدف على الإنترنت، <http://www.alhadafmagazine.com>
البريد الإلكتروني، alhadaf@mail.sy

التوزيع

* التوزيع في الجمهورية العربية السورية،
المؤسسة العربية لتوزيع المطبوعات
* التوزيع في المغرب، الشركة الشريفة للتوزيع والصحف



الحق وعدالة القضايا التي تناضل من أجلها ستبقى قادرة على تجميع عناصر الفعل المقاوم العربية والتي تحظى بدعم الشارع العربي الذي وصل الأمر ببعض القادة الانهزاميين بالجاهرة بعدم الارتهان الرسمي لنقض الشارع لأنه عاطفي وغير واقعي ولسان حالهم يقول الواقعية أن نرتهن للإرادة الأمريكية الإسرائيلية التي تريدنا عبداً في مشروع استعماري تفتيتي للمنطقة وكل عناصر قوتها.

ولأن جنودنا في الأرض التي أنبتت التاريخ والتراث الحضاري الإنساني سنبقى نقارع ونقاوم مشروع الهيمنة الاستعمارية لمنطقتنا وأمالها وتطلعاتها نحو مستقبل لا مكان فيه للظلم والاستعباد والاستغلال وتفتح فيها مساحات للفعل الإنساني القادر على استيعاب كل مكونات الأمة باعتبارها عناصر فعل وقوة للمستقبل العربي الذي تنتظره الأجيال المضحية والحاملة بهزيمة مشروع القهر الاستعماري الجديد مهما حاول الأعداء تجميل أدوات هذا المشروع ستبقى في نظرنا أدوات استعمارية لا مكان لها بين ظهرانينا.

وسيسجل التاريخ مآثر البطولة للمقاومين ودورهم في الذود عن الوطن والعزة والكرامة مهما كانت نتيجة المعركة التي ستحدد مستقبل المنطقة والأجيال العربية القادمة، فروح المقاومة ستبقى بوصلة العزة والمستقبل والمصير العربي.

إسرائيل أمام الرأي العام العربي والدولي والتي تدفعها عنجهيتها لمواصلة المزيد من الدمار والانتهاكات طالما تعطى وتمنح الفرص لمواصلة مغامراتها العسكرية دون رادع من المجتمعات الإنسانية المتشددة بالديمقراطية وحقوق الإنسان والمؤسسات الدولية التي أسست للسهر على مبادئ السلم والأمن والاستقرار ومحاربة الفقر والظلم فأضحت هي الأخرى بفعل هيمنة الإدارة الأمريكية عليها تسهر على حماية ورعاية البلطجة الإسرائيلية التي تزرع الخراب والدمار وتقلب الحقائق.

ومن هنا فإن العالم يشارك في تلك الجرائم ضد الإنسانية، وينسى أن البشرية لا يمكن أن تشفع لهم رعايتهم للظلم والإرهاب في مواجهة حق الشعوب الشرعي في المقاومة إلى أن يتحقق العدل والسلم والسلام الذي أساسه وقف مسلسل الاعتداءات الإسرائيلية على لبنان وفلسطين وتنفيذ إسرائيل لالتزاماتها الدولية من خلال انصياعها للقرارات الدولية بدلاً من محاولة إجبار القوى الفلسطينية واللبنانية على قبول الضغوط والإملاءات لمصلحة تسهيل مهمة لعب إسرائيل لدور محوري في مستقبل المنطقة إذا استطاعت بتلك المغامرات ضرب المقاومة في فلسطين ولبنان لمصلحة المشروع الاستسلامي الانهزامي والذي يمهّد لعالم عربي مسلوب الإرادة ومسير وفق مصالح الاستراتيجية الأمريكية الإسرائيلية.

وعلى ضوء ما تقدم نستطيع القول أن قوة

الأمريكي والذي يستمد قوته واندفاعته من تحالفه الاستراتيجي مع المشروع الصهيوني والرؤية الإسرائيلية لمستقبل الدور الإسرائيلي للمنطقة.

ومن هنا نجد تفسيراً للاندفاع الإسرائيلية العدوانية التدميرية للبنان وفلسطين والتي تستمد قوتها وشرعيتها من الدعم اللامحدود للإدارة الأمريكية وبداية تواطؤ رسمي عربي على المقاومة الباسلة والمشروعة للشعبين الفلسطيني واللبناني وحركته المقاومة، فجرى تضليل العالم وجره إلى مواقع الدفاع عن الاحتلال والعدوان والجرائم ضد الإنسانية التي ترتكبها حكومة أولرت في وضع النهار ضد الشعبين الفلسطيني واللبناني، تحت ذريعة مناصرة العالم لإسرائيل في حربها ضد ما يسمى بالإرهاب، وإطلاق العنان لإسرائيل لمواصلة جرائمها ضد الإنسانية وإعطائها الضوء الأخضر لمواصلة مجازرها وانتهاكات الصارخة لحقوق الإنسان، وتدمير كل مقومات الحياة المادية والبشرية في فلسطين ولبنان.

والأنكى من ذلك أن العالم وأنظمتها التي تدعي الديمقراطية تكيل المديح والثناء للجرائم الإسرائيلية وتدين حق الشعبين الفلسطيني واللبناني في ممارسة مقاومتهما المشروعة للاحتلال وممارساته وهمجيته ووحشيته في التعاطي مع الشان الإنساني على الأرض. وأكثر من ذلك تغطي الهيئات الدولية بمواقفها المنحازة على جرائم إسرائيل وأعمالها التي فاقت في بشاعتها ما ارتكبه النازية بحق البشرية.

وارتباطاً بهذه المواقف تجد إسرائيل نفسها في حل من احترام الحقوق الأساسية للإنسان وميثاق الأمم المتحدة ومبادئ القانون الدولي واتفاقية جنيف الرابعة، وتنتقل من الافتراءات لتبهر لنفسها كل هذه التجاوزات والجرائم بحق الإنسان. فالأطفال والشيوخ والنساء والجسور والكهرباء والمطارات لم تعد في عرفهم سوى حواجز يستظل بها مناضلو حزب الله وحركة حماس وقوى الثورة الفلسطينية لتوجيه ضربات عسكرية لإسرائيل (الوديعة وحامية القيم والأخلاق الغربية في المنطقة)، والتي وصل بها الصلف والعنجهية حد دفع الأطفال الأبرياء لكتابة رسائل على النخيرة الإسرائيلية التي تحمل لشعبنا الفلسطيني واللبناني الخراب والدمار.

هذا السلوك البربري يكشف حقيقة

حرب عنصرية برعاية دولية

بيروا بربريتهم وهمجيتهم من خلال الحديث عن أن القوى الفلسطينية واللبنانية تقوم بعملياتها العسكرية من أماكن مدنية، وبالتالي هي التي تتحمل وزر ما يحصل للمدنيين وليس إسرائيل، وهذه أساليب تضليل تبدأ بمقولة محاربة الإرهاب لتسمح لإسرائيل بتجاوز كل الأعراف والمواثيق الدولية.

والمشهد الأكثر مأساوية في هذا الموضوع بعض المواقف التي تبنتها دول عربية بغض النظر عن أسبابها ومبرراتها تصب في خانة إعطاء الضوء الأخضر لإسرائيل لمواصلة عدوانها المبرمج على الشعبين الفلسطيني واللبناني من خلال ترسانتها العسكرية المزودة بكل وسائل التكنولوجيا في مغامرة عسكرية مبرمجة ومنظمة تستهدف إعادة صياغة المنطقة بعد كل الانتكاسات والعثرات التي واجهت المشروع الأمريكي بعد غزو العراق.

وقد أوقع هذا الانغماس الأمريكي في الوحل العراقي كامل المشروع الأمريكي وأدواته، ودفعهم إثر الضربات الموجعة للمقاومة العراقية وفشل كل المحاولات التي تمت لصياغة نموذج عراقي لما يسمى بالديمقراطية في المنطقة وتراجع الحماس الأمريكي لفرض الديمقراطية والقيم الأمريكية على المنطقة، وموافقة على مواصلة الدول العربية الحليفة لنهجها الخاص بالإصلاحات بغض النظر عن مدى توافقها وانسجامها مع الفهم والاستراتيجية الأمريكية، حيث وعلى إثر تلك المراجعة يجري استيعاب الأصدقاء في منظومة متباينة ومختلفة النماذج بحيث يغيب المثل والنموذج، مما أضعف من تأثير تلك السياسة على النخب السياسية والثقافية وقوى من فعل قوى المقاومة الرسمية والشعبية في المنطقة، وزاد من الإحراج للمنظرين الرئيسيين لتلك السياسة، ووضعهم وجهاً لوجه أمام حقيقة انكفاء مشروعهم وتدهور أدواته والتي انقادت إلى تجاذبات محلية وإقليمية، وفقدت القدرة على السيطرة والحفاظ على مستقبل وزمام المبادرة لدى قوة التحالف والتبعية، والتعويل الكامل لمستقبلهم السياسي على نجاح المشروع

تشهد البشرية هذه الأيام حرباً لا مثيل لها في التاريخ الإنساني، فالعالم وهيئاته ومؤسساته ترعى وتبرر هذه الحرب الهمجية التي تقوم بها حكومة إسرائيل ضد الشعبين الفلسطيني واللبناني بعد نجاح المقاومة في لبنان وفلسطين من أسر جنود صهاينة..

فالحرب على الشعبين مخطط لها ولا يمكن اعتبارها ردة فعل على العمليتين النوعيتين البطوليتين اللتين حطمتا أسطورة الجيش الذي لا يقهر ومرغتا أنف الاستراتيجية الأمنية الإسرائيلية الهادفة لمواصلة امتلاك أسلحة وسياسة ردع لمنع العرب من محاولة التفكير بمواجهة الأعمال الإجرامية الإسرائيلية. فالرعاية الدولية والإقليمية لهذا العنف غير المبرر بكل المقاييس والمعايير ضد المدنيين والأبرياء والبنى التحتية كالكهرباء، والجسور، والطرق والمطارات، ووسائل المواصلات، ومقرات السلطة ومؤسساتها، كلها ممارسات محرمة دولياً، وكل الاتفاقيات والمعاهدات الدولية «اتفاقية جنيف» و «القانون العالمي لحقوق الإنسان» تمنع، بل تحرم على الدول المتحاربة والدول المستعمرة ممارسة أية انتهاكات بحق المدنيين، ولكن إسرائيل وداعميها يحاولون أن



الحرب الصهيونية في «صيفها الماطر» والمقاومة الفلسطينية التي بددت الوهم

أبو أحمد فؤاد

عضو المكتب السياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

الهجمة الصهيونية المتوحشة التي يقوم بها الجيش الإسرائيلي على شعبنا في قطاع غزة والضفة لم تتوقف حتى كتابة هذه السطور. إذ توغلت دبابات الجيش الإسرائيلي في شمال وجنوب القطاع بعد أن مهدت لذلك بقصف مدفعي طال المدنيين في منازلهم، كما قامت الطائرات بقصف العديد من المواقع والمرافق الحيوية منها: محطات الكهرباء، والماء، والجسور، والأندية الرياضية، وتدمير البنية التحتية الاقتصادية على الرغم من الحصار والتضييق الذي يعيشه شعبنا منذ سنوات، وازداد هذا الحصار بعد فوز حماس في الانتخابات، وتشكيل الحكومة المنتخبة ديمقراطياً. لكن هذا القصف لم يكن له هدف سوى إسقاط الحكومة الفلسطينية ومحاولة فرض الشروط الإسرائيلية على شعبنا.

في الحقيقة - لا تحتاج إسرائيل إلى ذرائع ومبررات كي تمضي في عدوانها، فقد قامت طيلة الشهرين الماضيين باغتيال ما يقارب التسعين مناضلاً فلسطينياً بواسطة طائراتها، وقامت بسلسلة من المجازر التي استهدفت المدنيين ومنها مجزرة شاطئ غزة التي ذهب ضحيتها ثلاثة أطفال وعائلة الطفلة هدى عالية التي دوى صراخها في أصقاع العالم ولم يحرك العالم ساكناً، بل بقي في صمت القبور، وبعد أيام ارتكبت قوات الاحتلال الصهيوني مجزرتها البشعة التي راح ضحيتها عائلة بكاملها في مخيم خان يونس كانت تتحضر لتناول غداءها، ولقد جاء الرد الأمريكي على لسان المتحدث باسم الإدارة الأمريكية تحت يافطة: «حق إسرائيل في الدفاع عن النفس».

وكما أسلفنا فإن العدو الصهيوني لا يحتاج إلى ذرائع ومبررات لإعلان الحرب على شعبنا الفلسطيني، فالحرب معلنة منذ ما قبل عام ١٩٤٨ وهي مستمرة والعدوان مستمر، ولا يتوقف الأمر عند الحجة التي يسوقها العدو (منع إطلاق الصواريخ الفلسطينية على سبورت والتعب)، بل هو قد تعدى هذه الحجة، فالتضييق أكبر من الجندي الصهيوني الذي أسرت المقاومة في عملياتها البطولية، واقتحامها موقعاً عسكرياً محصناً قرب (كرم أبو سالم)، من قبل مجموعة فدائية عبر نفق

بإطلاق سراحه، إلا أن الحقيقة المرة التي تنتظر الكيان الصهيوني هي مطلب المقاومة لفك أسر عشرة آلاف أسير فلسطيني منسيون يقضون منذ سنوات طويلة في أقبية التعذيب الصهيوني، فالمحادثات الجارية من أجل احتواء أزمة الجندي الصهيوني الأسير كما يطلق عليها البعض وكما تصفها وسائل الإعلام والصحافة بهذه الصفة لن تصل إلى حل دون موافقة الطرف الصهيوني على قبول الشروط والمطالب التي تتنادى بها المقاومة الفلسطينية «أسرى مقابل أسرى».

إن الحرب المعلنة من قبل الكيان الصهيوني لا تنحصر في قضية الأسير، على الرغم من الإحراج الذي تتعرض له الحكومة الإسرائيلية وجيشها، وأولمرت، ووزير دفاعه عمير بيرتس الذي تلطخت يديه بدماء المدنيين الفلسطينيين على شاطئ غزة. فهذه الأزمة التي تعيشها الحكومة الإسرائيلية، وجدت طريقة لمحاولة الخروج منها عبر كيل الاتهامات لسوريا الصمود واختراق الطيران الصهيوني لأجواء كل من لبنان وسوريا عبر الخط الساحلي، في حين لم تجد هذه الخروقات مكاناً لها في مجلس الأمن، كما أن الحصار الصهيوني المفروض على قطاع غزة، والقصف الهجمي، ونقص الدواء، الجوع، والحصار المالي الذي فرضه الأشقاء والأعداء على السواء يفعل فعله في أهلنا العزل. إلا أن المقاومة الفلسطينية مستمرة وتطور وسائلها النوعية، وشعبنا في أوج صموده يرد على الهجمة الصهيونية بثبات، ومخطئ من يظن أن هذه الهجمة ستنتال من صمود شعبنا، بل هي ستزيده عزيمته وصبراً وصموداً، إن هذه الحرب الصهيونية الجديدة على قطاع غزة ومدن الضفة تقود إلى الحقائق التالية:

أولاً: جاءت هذه الحرب المعلنة بأهدافها لتلبي من الحكومة الفلسطينية، والتبيل من

صمود شعبنا بعد أن جربت سياسة الحصار المالي والتجويع، وكل محاولات التكريع سقطت تحت أقدام المقاومين الذين اخترقوا دفاعات العدو الصهيوني ومواقعه المحصنة وأسره الجندي الصهيوني، وهذه بمثابة هدية تقدمها المقاومة لشعبنا وللحركة الفلسطينية الأسيرة التي يبلغ عدد أفرادها ما يقارب العشرة آلاف معتقل وأسير.

ثانياً: جاءت هذه الحرب المعلنة على ما توصل إليه الحوار الوطني الفلسطيني من اتفاق على وثيقة الوفاق الفلسطيني، وتجاوز أطروحة الاستفتاء المراد منها قرط الساحة الفلسطينية، وتصعيد الاقتتال الداخلي، وبعد الاتفاق على وثيقة الوحدة الوطنية بيومين قامت قوات الغزو الصهيوني باجتياحها الجديد لقطاع غزة رداً على هذه الوحدة الوطنية التي ستقود حتماً إلى حكومة وحدة وطنية، وإلى الوصول لبرنامج الإصلاح في منظمة التحرير الفلسطينية.

ثالثاً: هذه الحرب المعلنة جاءت بعد تدليل الخلاف بين قطبي الحوار والبرنامجين المتصارعين وتجاوز النقاط الخلافية الأبرز والعودة إلى مضمون وروح الميثاق الوطني الفلسطيني، فما كان على الكيان الصهيوني إلا أن أقدم على خطوة استباقية في إعلان الحرب على النظام السياسي الفلسطيني برمته.

رابعاً: لقد راهن العدو الصهيوني بعد إعطاء دور لعرايي الاتفاقيات على تخريب محاولة جديدة هي جمع الطرفين الفلسطيني والإسرائيلي عبر لقاء البتراء بإيعاز من الإدارة الأمريكية، وعودة الرهان مجدداً على فريق أولسو/جنيف للاتقاضي على المقاومة، والصمود الفلسطيني الداخلي. وأحداث شرح داخلي عبر ما يسمى بالاستفتاء على وثيقة الأسرى، إلا أن عمليات المقاومة فوّتت الفرصة على هذه الأطراف ومخططاتها المبيتة.

المؤلم في هذا اللقاء البتراوي: إنه جاء على إيقاع مجزرة غزة، وقيام الضحية بتقبيل الجلاء الذي لم يحترم الضحايا الفلسطينيين التي سفكت دماؤهم على شاطئ بحر غزة، وصرخة الطفلة غالية.

ومع هذه الحقائق جاءت الحرب، والتوغل الصهيوني في قطاع غزة، ولم تقف الأمور عند هذا الحد رغم المعاناة والمأساة التي يعيشها شعبنا الفلسطيني في ظل الحصار والتجويع والتضييق، وهنا لا بد من العمل لمواجهة هذه

الحرب وأهدافها ونتائجها، يتجسد ذلك في الصمود والثبات والرد على سياسة التضييق والديموغوجيا الصهيونية الأمريكية.

وهنا لا بد من الوصول إلى نقاط عمل تعزز من الصمود الفلسطيني في وجه الهجمة الصهيونية التي يتبناها البيت الأبيض، وذلك من خلال الأخذ بعين الاعتبار الأمور التالية: أولاً: إدارة الصراع مع العدو بحكمة وحكمة، والعمل على إدارة العلاقات السياسية الإقليمية والدولية نحو التضامن مع الشعب الفلسطيني واستنهاض تيار التضامن الأوروبي والأمريكي والعربي.

ثانياً: أن نباشر العمل على الصعيد الفلسطيني بتشكيل حكومة وحدة وطنية، والمطالبة بالإفراج عن الأسرى والمعتقلين والمختطفين الفلسطينيين، ومنهم الوزراء وأعضاء المجلس التشريعي، ورفع الحصار الظالم عن قطاع غزة، وتوفير الضمانات الدولية لتوصيل الإمدادات، والغذاء والدواء، وإصلاح البنية التحتية التي دمرها الجيش الإسرائيلي، والعمل على إعادة بناء منظمة التحرير على أسس ديمقراطية، لتشارك فيها كافة القوى الفلسطينية ومن ضمنها حماس والجهاد الإسلامي.

ثالثاً: تحشيد أوسع للدعم العربي والإسلامي والدولي لشعبنا الفلسطيني الواقع تحت الحصار والاحتلال.

رابعاً: تصعيد المقاومة والرد على الاجتياح والتوغل الصهيوني، وهذا من شأنه أن يعمق من الوحدة الفلسطينية، وهذا يتطلب من الجميع الترفع عن الامتيازات الفئوية الضيقة وصون الوحدة الوطنية.

خامساً: سحب البساط من تحت فريق أولسو ومواجهة عقلية الهزيمة التي مازالت تراهن على التسوية والمفاوضات بأي ثمن، وذلك من خلال تصعيد المقاومة.



وفي المحصلة إن الجيش الإسرائيلي ومجرمي الحرب الصهاينة، مازالوا يمعنون في سياسة الحرب ويراهنون على توجيه الضربات العسكرية للمقاومة واستهداف قيادتها، وما يسمى بعملية، الصيف الماطر، ما هي إلا تسمية سوف تنعكس سيولها وأعاصيرها على الكيان الصهيوني ذاته، وسوف تزيد من أزمته التي يحاول تصديرها إلى خارج حدوده.

كما أن الإدارة الأمريكية التي لا تجد في العدوان الصهيوني على شعبنا سوى مجرد حق إسرائيل في الدفاع عن نفسها، وهذه التصريحات السخيفة التي أدلى بها الناطق الرسمي باسم البيت الأبيض سوى تعبير عن مدى انسجام الموقف الأمريكي والشراكة إلى جانب المخططات الصهيونية.

لقد جرب الجيش الصهيوني أساليب منذ بداية الانتفاضة في التدمير وضرب البنى التحتية واستخدام وسائل البطش والقتل بالديابات والطائرات وكل قوته الحربية، وكانت النتيجة مزيداً من الصمود والثبات لشعبنا الفلسطيني، مزيداً من المقاومة، واليوم، أيضاً: مهما وصل الجيش الصهيوني من استخدام صلف قوته التدميرية إلا أن شعبنا يواجه المصير في قلب المعركة ويتصدى لهذه الهجمة بكل بسالة وصمود، وعزة وإباء وكبرياء، وهذا الصمود يلزمه عمق قومي عربي للتضامن معه ونصرته ومدد بكل سبل المساعدة من قبل جماهير أمتنا العربية، بوقفها إلى جانب شعبنا سوف تفشل المخططات والتهديدات الصهيونية، الأمريكية كما يتطلب من قوى التضامن العالي أن ترفع الصوت عالياً من أجل فلسطين، من أجل شعبنا المحاصر ومن أجل زوال الاحتلال.

إن سياسة الحرب الصهيونية الإجرامية لن تنال من عزيمته شعبنا الصامد الصابر، وهو يتطلع إلى فجر الحرية والاستقلال، وإلى تحقيق أهدافه الوطنية، متمسكاً بالتوايت: في العودة، وإقامة الدولة الفلسطينية وعاصمتها القدس، وتفكيك المستوطنات، وإزالة جدار الفصل العنصري، ومواجهة كل الخطط الشارونية القديمة الجديدة التي ينفذها اليوم أولمرت وحكومته، عبر ما يسمى اليوم بخطة الانطواء، وضم ٤.٨٪ من أراضي الضفة الغربية... هذه المخططات سوف تقشل وذلك بقدرة شعبنا الفلسطيني على الصمود والواجهة ومقاومة الاحتلال بكل الأشكال والوسائل المتاحة والشروعة.

عودة البرابرة نقاش المزايم الصهيونية في حربها على لبنان

أحمد م. جابر

اليوم هو التاسع عشر من المجزرة، حيث تواصل عصابة القتلة في تل أبيب هجومها التدميري على لبنان شعباً وأرضاً وإرادة حياة، ويواصل مقاومو لبنان صمودهم الأسطوري في ملحمة ولا روع..

وفي إحصاءات أولية، حصدت آلة العدوان حتى اليوم مئات الشهداء أكثر من ثلثهم من الأطفال، ما عدا التدمير المادي للبنان. في مشاهد تهز كيان الإنسانية وتقتلع ضمير العالم من جذوره، أو يفترض أن تفعل هذا، إذ أن هذا الضمير لم يتنازل ليلقي نظرة ولو عابرة على هؤلاء القتولين، ليتحول كل إنسان وكل شجرة أرز و كل حجر إلى هدف لشيطان الموت الصهيوني الذي لا يرحم.

ومع عدم اتصاح ما سيحدث، وبغض النظر عما سيحدث، تهدف هذه المقالة لرسم الإطار العام للاستراتيجية الصهيونية ورصد وتحليل النقاش الدائر في دولة العدو حول العدوان وأهدافه.

سقوط مقولة رد الفعل

وضع حد للعمليات الإرهابية وإطلاق قذائف القسام على أهداف إسرائيلية، والتسبب في إطلاق سراح الجندي المخطوف وإعادته إلى إسرائيل دون أي شرط. لن تجري مفاوضات لإطلاق سراح سجناء..

تفضح هذه القرارات حقيقة المشروع العدواني الصهيوني وزيف ادعاءاته، فلم يسبق أن سجل التاريخ شن حرب ضد بلد كامل بسبب أسر جنديين، خصوصاً في ظل سجل السلوك المعلن والمعروف جيداً للقتال الدائر بين المقاومة اللبنانية ودولة العدو على مدى أكثر من عشرين عاماً.

حتى اجتياح ١٩٨٢ الذي يختصره البعض بسداجة وجهل، بأنه ردة فعل على محاولة اغتيال السفير الإسرائيلي شلومو أرغوف في لندن، لم يكن لهذا السبب بالذات وسجل الوقائع يكذب زيف هذه الكذبة التي يحلو للبعض اجترارها كلما بحثوا عن طريقة لإدانة المقاومة وتوقيعاتها العvisية على فهمهم !!

فاجتياح ١٩٨٢ سبقته سلسلة استفزازات صهيونية توجت في ٢١ نيسان بتقديم لبنان شكوى رسمية إلى مجلس الأمن ضد إسرائيل بسبب غاراتها على الساحل التي أوقعت ضحايا كثر وخسائر مادية كبيرة.

وهكذا، فسجل إسرائيل نفسه لا يسمح

بتصديق كذبة رد الفعل، وأن من المستحيل الموافقة على أن إطلاق النار على شلومو أرغوف يوم ٣ حزيران يجعل إسرائيل تبدأ اجتياحاً شاملاً للبنان يوم ٤ حزيران بدأ بقصف جوي استمر ليومين ليتواصل يوم ٦ حزيران بهجوم كاسح.

فحالة الحرب القائمة بين لبنان ودولة العدو، المتمثلة في استمرار إسرائيل باحتلال أجزاء من الأراضي اللبنانية واستمرار قواتها الجوية والبحرية والبرية في انتهاك السيادة اللبنانية حتى ما وراء الخط الأزرق المفروض أممياً، إضافة إلى الإصرار الوقح على استمرار الاحتفاظ بالأسرى اللبنانيين كرهائن في يد العدو. كل هذا يجعل من الحالة، حالة حرب معلنة، يجوز فيها للطرف المقابل استخدام ما يراه من وسائل وسلوك ما يستطيعه من مسالك لرد العدوان وإحقاق الحق.

والفقرة الثالثة من القرار الصهيوني أنف الذكر تكشف الحقيقة لمن لم تعمه قسراً أو عن طيب خاطر النظارة الأمريكية والاستكانة المطلقة لوضعية الذل والمهانة، بل التامر العلني مع العدو والتي لا سابق لها من قبل أنظمة العار العربية.

ولكن الحديث عن يؤس النظام العربي وسقوطه يحتاج إطاراً آخر، وفيما يتعلق بهذه الفقرة من القرار الصهيوني فإن دولة العدو، متجاوزة ما حددته الفقرتين السابقتين قفزت دفعة واحدة لتضع نفسها منفذاً لإرادة الأمم المتحدة لفرض تنفيذ القرار ١٥٥٩، في تجاهل إلى أن إسرائيل نفسها لا تملك سجلاً مشرفاً في تنفيذ قرارات الأمم المتحدة. وهذا القرار بالذات الذي ينص على مغادرة جميع الجيوش الأجنبية للأراضي اللبنانية، ووضعت دولة العدو نفسها في مكان المجتمع الدولي والدولة اللبنانية باستهدافها تجريد الميليشيات المسلحة من أسلحتها، وبكل وقاحة نصبت

نفسها متحدثة بلسان حكومة لبنان. بهذه العنجهية المطلقة وغير المسبوقة بل المجنونة واللاعقلانية على ما يصف عزمي بشارة فإن إسرائيل تشن حرباً عدوانية غير مبررة وجنونية ضد لبنان، وتفرغ كل مبرراتها من محتواها لتجعل مقولاتها السياسية نوعاً من الغوغائية والسخافة، فعلاً خارج السياسة، بل في انحطاط السياسة إلى دركها الأسفل.

ومع استمرار العمليات، أدخلت إسرائيل نفسها ومعها المنطقة إلى المجهول، مرتكزة على انحراف سياسي مغرق في العدمية الفاشية، ولعل زئيف معوز بروفسور العلوم السياسية في جامعتي تل أبيب وكاليفورنيا محق بقوله أن: «إدارة الجيش والحكومة للمواجهات الحالية، حول الجيش والسياسة في السنوات الأخيرة والقدرة القتالية والسياسة الخلاقة إلى فن في تمويه الإخفاقات»، داعياً إلى لجنة تحقيق شعبية لتحديد مسؤولية الفضل.

هذه الإخفاقات في الحقيقة أبرز من أن يتم إخفاءها ابتداء من صمود مخيم جنين عشرة أيام كاملة في مواجهة آلة السحق الصهيونية، وانتهاء بالإخفاقات المباشرة والمزعزعة لهيبة الجيش سواء في (كيرم نالوم) أو (الوعد الصادق) مما هز مكانة الجيش في تهديد واضح لقدس أقداس صهيون (الجيش الإسرائيلي) روح الأمة ومعنى وجودها وقبلة وحدتها كما يقولون!!

إعادة الاعتبار لأسطورة التهديد الوجودي لا يمكن عزل الأحداث الجارية عن إطارين أساسيين: الأول هو إعادة رسم الاستراتيجية الأمريكية للهيمنة على المنطقة، وذلك يحتاج نقاشاً مطولاً، وما يهمنا هنا الإطار الثاني، أي النقاشات التي دارت وما تزال في الدولة الصهيونية، المتمثلة في السعي إلى جهد إسرائيلي منهجي ومبرمج ينصب في غاية إعادة هندسة الروح الإسرائيلية حول الأمن ما يحيل مباشرة إلى أولوية الجيش على ما عداه.

هذا النقاش المتمحور على ما يقوله رئيس الأركان سابقاً موشيه يعلون، حول « أن مناعة إسرائيل الاجتماعية منوطة، أكثر شيء، ببقاء الجيش الإسرائيلي. جيش الشعب ..» يعالون ودان مريدور الذي يشاركه الرؤية، لا يقفان وحدهما، يثبت ذلك ما ورد في وثيقة (مؤتمر هرتسليا السادس حول ميزان المناعة والأمن القومي الإسرائيلي) حيث تلحظ الوثيقة يقلق أن المجتمع الإسرائيلي «لم يعد



مأزق إسرائيلي جديد

في اليوم التاسع عشر لحربها المجرمة كانت إسرائيل قد شنت أكثر من ٥٥٠٠ غارة جوية أحدثت دماراً لا مثيل له، وقتلاً إجرامياً غير مسبوق.

وهي تشن حرباً بمستويات متعددة وفق ما يحلل أنطون شلحت، أولها حرب (كي الوعي) بالصطلح الإسرائيلي الراجح، والذي أبتدع في بداية الانتفاضة والذي يهدف إلى إفهام المواطنين اللبنانيين أن لا حياة مع المقاومة، وبالتالي يجب التخلص من المقاومة نهائياً، والمستوى الثاني هو الحرب على الكاميرا التي تهدف إلى إخفاء الحقيقة بالترابط مع التقييم الإعلامي داخل دولة العدو لأن الكاميرا من شأنها تقديم الدلالة المضادة لنظرية (كي الوعي). أما المستوى الثالث فهو مستوى الدعاية العسكرية واللجوء إلى الكذب المفضوح داخلياً وخارجياً.

دعاية مفضوحة سلفاً نتيجة للخسائر البشرية والمادية التي لم يعد ممكناً إخفاؤها. وقد لخص نحاميا شتراسلر أبرز كتاب هارتس، يؤس هذه المزايم، قائلاً: « هناك نوع من الاعتقاد في القيادة العسكرية والسياسية، أنه كلما تضرب اللبنانيين ونهدم أكثر جنوب لبنان وجنوب بيروت، يضغط النازحون على السلطة المركزية، وهذا بدوره يسرع ويعمل ضد حزب الله. وهذه الطريقة تهبز بالعرب ولا تعتبرهم كادميين لهم شعور وكرامة، وفي الواقع أنه عند كل الأدميين من يُطرد من

مجتمعاً مجنداً»، وتضيف الوثيقة «هناك نكوص في الوطنية بمرور الأجيال.. وهكذا فترجمة هذه الرؤية تقتضي ضمن البرنامج الصهيوني فعلاً مباشراً لإنقاذ (روح الشعب)، هذا الفعل لا تجده الدولة الصهيونية المفرقة في عقلية الحصار والمساو والكارثة إلا في الحرب كطريق للنجاة !!

وقد كشفت هارتس وعلى لسان خبيرها العسكري أمير أورن أن الحرب مبيتة، وأن الجيش الإسرائيلي أجرى تدريبات على العدوان على لبنان وبمجرد خطف الجنديين أخرجت الخطط من الأدرج وأعلنت الحرب.

وكان الجترال احتياط (غيبورا إيلاند). رئيس مجلس الأمن القومي أبرز المنظرين لهذا العدوان وقد تقدم ثلاث مرات إلى شارون (ربيع ٢٠٠٥، خريف ٢٠٠٥، وأذار ٢٠٠٦) باقتراح ما اسماء (خارطة طريق لحل المشكلة الأمنية بين إسرائيل ولبنان) خطوة مكونة من ٦ نقاط، أعلن عنها إيلاند في الأسبوع الثاني من تموز، بمناسبة انتهاء عمله دون أن يكشف أن الأمريكيين والفرنسيين والأمم المتحدة وأطرافاً عربية ولبنانية كانت على علم بها، وكانت إجابة شارون لإيلاند حينها: «لبنان يستطيع أن ينتظر، والنقاط الثلاثة الأولى في خطة إيلاند تتطابق تماماً مع قرار مجلس الوزراء الإسرائيلي الصغير لدرجة أنه لا داعي لإعادة ذكرها، فهل يستطيع أحد بعد ذلك الزعم بأن حزب الله تسبب في هذه الحرب أو دعا لها!!



بيته أو يهدم بيته يكره الطارد والهادم، ويطلب الانتقام..

ويضيف شتراسلر بمرور الوقت يتوسع التأييد لحزب الله حتى في أوساط المسيحيين ناهيك عن أوساط الشيعة. وهناك جزء لا بأس به من رجالات الجيش هم من الشيعة، الذين يقطنون القرى التي هدمت بيوتهم جراء القصف وهم بالتأكيد لم يحبوا،!

ويختم: «الصور الصعبة للهدم والخراب الذي سببته إسرائيل في لبنان تعرض في القنوات التلفزيونية في أرجاء العالم وتعاظم الكراهية لإسرائيل،!

إذاً وبعد ١٩ يوماً من الحرب الشاملة المدمرة، يبدو أن الوقت لم يحن، ولن يحين أبداً ليخرج قادة العدو معلنين انتصارهم، فهم لم يتمكنوا من تحقيق غاياتهم الرئيسية سواء السياسية أو العسكرية، وثبت أن حزب الله سيخرج من هذه المعركة أكثر معافاة، ليس بالضرورة بالمعايير العسكرية الكلاسيكية وإنما من حيث المكانة المعنوية وقدرة الاستمرار.

خسائر العدو النفسية والعسكرية صارت معروفة، أما خسائره الاقتصادية فبلغت على الأقل ٦ مليارات دولار هي خسائر البورصة الإسرائيلية حتى اليوم السابع، وقد خسر الشيكيل ٣٪ من قيمته، وسجل تصاعد غير مسبوق في هروب الاستثمارات الأجنبية، وإغلاق أربعين مصنعاً تبلغ أعمالها أكثر من مليار دولار، وتقلص إنتاج الاقتصاد بنسبة ١٪ إضافة إلى مقتل الموسم السياحي. وتكبد السوق الصناعية خسارة يومية تصل أكثر من ٤٠٠ مليون شيكل، ناهيك عن إفلاس التجارة والبطالة في مدن الشمال وتكاليف الذخيرة الحربية التي وصلت إلى ٧ مليارات شيكل في اليوم السابع، وقد أكد الملحق الاقتصادي لصحيفة (هارتس - دي ماركير) أن ميزانية العام ٢٠٠٧ في إسرائيل متعلقة جداً بالأوضاع اللبنانية وما يطرأ عليها.

المسؤولون في وزارة الأمن يطالبون بإلغاء التقيصات وزيادة ميزانيتهم بـ ٢-١ مليار شيكل لتغطية نفقات الجبهة العسكرية في لبنان، والسؤال المطروح في الأوساط السياسية هو: أين ستتم التقيصات لصالح وزارة الأمن؟ من المؤكد أن من سيدفع الثمن هو الوزارات الاجتماعية مما سيخلق بالضرورة وضعاً سياسياً واجتماعياً متفجراً.

إسرائيل في فخ حربها

تزعم إسرائيل ومن وراءها أن حربها تستهدف تحقيق الاستقرار في المنطقة وتحقيق الهدوء وتباليغ كونداليزا رايس ورئيسها بالحديث عن شرق أوسط جديد، مرة أخرى، ولكن التاريخ لا يوافق على ما يقوله هؤلاء، فلم يسبق على الإطلاق للعدوان أن خلق استقراراً بل مزيداً من التفجر والتأزم، وتاريخ الكيان الصهيوني نفسه يؤكد ذلك.

ففي ليل ١٤-١٥ آذار ١٩٧٨ اجتاح الجيش الإسرائيلي لبنان على ثلاثة محاور، واحتل ٢٠٢٠ كم^٢ أي ربع لبنان، وشمل الاجتياح ١٥٠ بلدة وقرية ودمرت ست بلدات وتضررت ٨٢ قرية أخرى وألحق الدمار بثلاث مدن، هي: صور وبننت جبيل والنبطية واستشهد ١١٦٨ لبنانياً وفلسطينياً وهُجر ٢٦٠ ألف لبناني و٦٥ ألف فلسطيني.

عملية الليطاني هذه نجحت في شيء واحد هو إقامة جبهة أكثر اشتعاً ومبررات أقوى للبنانيين أنفسهم هذه المرة لكيل الضربات لإسرائيل، بينما كان الأمر مقتصرًا بالمعنى الرسمي بداية على الفدائيين الفلسطينيين، وحولت المعركة إضافة إلى كونها إسرائيلية فلسطينية إلى إسرائيلية لبنانية أيضاً.

ويعد فشل أهدافها عام ١٩٧٨، استمرت إسرائيل في البحث عن ذريعة أخرى وصولاً إلى ١٩٨٢ ودون إعادة إلى ما ذكرناه حول حجة الحرب عام ١٩٨٢، فقد كلفت ١٩٠٨٥ شهيداً لبنانياً وفلسطينياً و٣١٩٥ جريحاً ونصف مليون نازح ومليارات الدولارات من الخسائر المادية واحتلال ٣٣٪ من أرض لبنان. بينما خسرت إسرائيل ٣٤٩ قتيلًا و٢١٢٧ جريحاً حسب الرواية الرسمية، في حين أشارت أرقام أخرى إلى ٦٠٠ قتيل و٣٥٠٠ جريح بينهم ٢٠٠٠ معوق وبكلفة ٤ إلى ٥,٢ مليار دولار.

فماذا كانت النتيجة، نعم نجحت إسرائيل مؤقتاً واستطاعت تدمير البنية العسكرية لمنظمة التحرير وإجبارها على الرحيل، واحتلت عاصمة لبنان ونجحت في فرض مرشحها للرئاسة وفرضت على لبنان اتفاق ١٧ آذار الذي حول لبنان إلى حجر شطرنج في يد جنرالات إسرائيل، ولكن ذلك كان مؤقتاً.

عسكرياً اضطر (التساهال) للقتال متراً متراً في لبنان وصمدت بيروت العزلاء تقريباً أكثر من ثمانين يوماً ومرشح إسرائيل للرئاسة

الجمهورية بشير الجميل واجه مصيره المحتوم على يد وطني لبناني شريف، تلا ذلك إسقاط اتفاق العار، وخرجت إسرائيل مجللة بعار صبرا وشاتيلا، واعتزل رئيس الوزراء بيغن واستقال شارون، بل أجبر على الاستقالة، واعتزل رئيس أركانه إيتان والأهم من ذلك كله اندلاع حرب جديدة، طويلة ومنهكة لإسرائيل، حرب خلقتها بنفسها وزرعت فيها سقوطها الأخلاقي وعميتها الفكرية ويؤسها السياسي وحصدت الفشل والخيبة والمرارة.

وما الذي يحدث الآن؟ لقد ثبت حتى الآن أن إسرائيل لا تملك الإمكانيات لتنفيذ المهمة المنوطة بها دولياً وعربياً لتبديد قوة حزب الله، فهي تفشل عسكرياً ولا تملك المفاتيح لتبديد قوته السياسية وفشلت في زرع الفتنة في لبنان، حتى تصريحات السياسيين المعارضين لحزب الله كانت حذرة جداً بهذا الشأن، وبغض النظر عن النتائج العسكرية للمعركة إلا أن الثابت أن إسرائيل لن تنجح في مهمة إنهاء الحرب لأسباب تتعلق بقدرتها وأسباب أخرى تتعلق بحزب الله.

لقد استعرضنا أعلاه مكامن الفشل في القدرة الإسرائيلية وسنختم هذا المقال بتحليل الأسباب المتعلقة بحزب الله.

فحزب الله ليس عصابة مسلحة معزولة، بل هو منظمة سياسية ذات عمق اجتماعي ديني مكين تمرس في تجربة النضال ضد العدو، وتجربة الحياة السياسية الداخلية، محمي بحاضنة شعبية قل نظيرها، مرتبطة بقدرة عالية على التضحية والمثل القيادي المحترم والصادق.

وعلى الصعيد الداخلي فإن حزب الله وبالمفاهيم الطائفية اللبنانية هو أحد قطبين يمثلان الشيعة بدون منازع دينياً واجتماعياً، وفي ظل وجود تحالف ثابت بين أمل وحزب الله فإن أي احتمال لزوع الاضطراب داخل الشيعة هو ضرب من خيال جامع، أضف إلى ذلك التعاطف الكبير الذي تحظى به المقاومة من الشعب اللبناني هذا التعاطف الذي تزيد الغارات الصهيونية من ثباته وصلابته واتساعه، مترافقاً مع فشل نظرية (كي الوعي) الصهيونية أنفة الذكر، مما يعزز تحليلنا القائل بأن إسرائيل تصدت لمهمة تفوق قدرتها، فورطت نفسها أو ورطت ربما بمعركة ستدفع ثمنها بالمعنى الاستراتيجي، إن لم يكن بالمعنى التكتيكي المباشر.

من (الوهم المتبدد) إلى (الوعد الصادق) إرتباك وتخوف من ميزان ربيع جديد

خالد حسين

هناك تعريف استثنائي للقوة ورد على هامش الألباذا يقول «أن تكون الأقوى فأنت الأقرب إلى الضعف، وهكذا وجدت حكومة العدو نفسها برئاسة أولمرت ووزير دفاعه بيريتس، أمام ممر إجباري عبر حقل ألغام مختلط معقد، ليس من السهل تحديد حدوده واجتيازه بدون خسائر؛ وذلك إثر عملية الوعد الصادق وتدابيرها السياسية والميدانية التي ما زالت تتفاعل على المستويات كافة.

فالعلمية جاءت أولاً وقبل كل شيء في سياق متواصل ومتكامل يهدف لتعزيز وتطوير عملية المقاومة

والممانعة، التي اختطها حزب الله لدوره التاريخي في معادلة الصراع العربي - الإسرائيلي، وهي ليست طرفة أو رد فعل مؤقت غير محسوب، بعيداً عن رؤيا استراتيجية يتبناها الحزب منذ إنطلاقه عام ١٩٨٢، تستهدف اقتلاع الاحتلال الإسرائيلي من الأراضي اللبنانية المحتلة والتي ما زالت مزارع شيعا المحتلة شاهدة على غطرسة العدوان وعمق سياساته التوسعية؛ وهي بهذا المعنى مشروعة ومصانة حسب الشرائع والمواثيق الدولية التي توجب وتتيح



تات بثمارها الناضجة حتى الآن. فلم تستجب ايران للضغوط و للإملاءات الأمريكية - الغربية بشأن الملف النووي، كما أن هناك تعثراً يصل لحد الفشل في تنفيذ واستقرار المشروع السياسي الأمريكي في العراق، رغم تداعياته الخطيرة على النسيج الاجتماعي - السياسي العراقي الذي أخذ يغرق في متاهات النزاعات الطائفية والعرقية والقومية التي أثقلت كاهل المقاومة بأشكالها كافة. ولايبعد الأمر بعيداً

عن هذا التعثر فيما يتعلق بالملف الفلسطيني رغم خصوصيته، فقد جاءت الانتخابات التشريعية الفلسطينية والنتائج التي ترقبت عليها سياسياً وعملياً لتضع علامات استفهام كبيرة، حول طبيعة الديمقراطية المنشودة أمريكياً وعربياً خاصة في ظل الحصار الذي تمارسه هذه الأطراف، بقيادة الولايات المتحدة ضد الشعب الفلسطيني. ارتباطاً بهذه النتائج المغايرة للمسار الأمريكي المرسوم. بذات الوقت جاءت عملية الوهم المتبدد لتوسع دائرة التعثر والاستفهام أيضاً حول جدوى الإجراءات الإسرائيلية أحادية الجانب في خلق الظروف الملائمة لتنفيذ مشروع الحكومة الجديدة المسمى خطة الانطواء... في الضفة الغربية.

التعبير الأكثر وضوحاً على هذا التعثر جاء من لبنان الاسم، على الرغم من كل الوسائل التهمجية والإرهابية والجهود التي اتبعت وبذلها الطرف الآخر، لخلق نظام يتساوق تماماً مع المشروع الأمريكي الإسرائيلي فإن ذلك لم يتحقق، صحيح أن هناك ركائز ودعائم لهذا المشروع ما زالت تتفاعل وتتجادل، لكن الصحيح أيضاً أن المقاومة اللبنانية فرضت نفسها كلاعب أساسي على المسرح اللبناني من جوانبه كافة، بحيث أصبحت واقعاً سياسياً اجتماعياً - ثقافياً - إعلامياً... الخ. لا يمكن تجاوزه بأي شكل من الأشكال. بل و يساهم في تعزيز اللحمة الوطنية اللبنانية. فالعملية النوعية التي نفذتها المقاومة الإسلامية الجناح العسكري لحزب الله بتاريخ ١٢/٧/٢٠٠٦ التي تكللت بنجاح تكتيكي واستراتيجي ما هي إلا من الإشارات على هذا التحول.

على المستوى التكتيكي تعتبر العملية ويحق من العمليات التي تقوم على المزج الدقيق والمحسوب بين المستوى الأمني الرفيع والمستوى التكتيكي العملائي الذين يؤكدان على حقيقة التطور النوعي الذي وصل إليه مقاتلوا المقاومة الإسلامية، الأمر الذي نجم عنه قتل ٧ جنود، وجرح أكثر من عشرين جندياً ومستوطنات،



وأسر جنديين من الجيش الصهيوني في اليوم الأول من العملية.

المسألة الملفتة للنظر هنا ليس في حجم الخسائر البشرية التي لا تعوض (الجرحي أو القتلى)، وإنما تكرار حالة الأسر على يد رجال المقاومة الإسلامية، وكذلك خلال عملية (الوهم المتبدد) النظيفة بكل المقاييس حتى تلك الإسرائيلية. التي شاركت في تنفيذها ثلاثة أجنحة عسكرية لفصائل من المقاومة الفلسطينية التي أسفرت كما هو معروف عن قتل جنديين وجرح ثلاثة آخرين وأسر جندي. حالة الأسر بما تعنيه من القاء الضوء على طبيعة الاستعداد القتالي المرتبط بالعديد من العوامل التي تظهر الجندي أو المقاتل في صورته النهائية، وأولها المستوى المعنوي والتدريبي الذي يتحلى به. كقاعده هناك علاقة بين الجانبين، فكلما كان المستوى المعنوي والتدريبي متدنيين كلما كانت احتمالات الأسر أكثر.. خاصة وأن الجيش الإسرائيلي يعد من أكثر جيوش العالم تقدماً في حيازة وسائل السيطرة والقيادة والحماية الفردية، الأمر الذي يساهم موضوعياً في تقليص حالات الإرباك والإضطراب النفسي للجندي، وبعيداً عن أي تفاصيل أخرى فإن النتائج التي أظهرتها «القدرة الميدانية، للطرفين تؤكد القدرات النوعية لرجال المقاومة الفلسطينية والإسلامية اللبنانية من حيث القتال المباشر، على الرغم من التفوق الكمي والنوعي الساحق المائل لمصلحة الجيش الصهيوني.

في السياق ذاته فإن هناك العديد من الأسئلة من المطروحة حول امتناع (الجيش الإسرائيلي) عن القيام بعملية عسكرية برية حتى هذه اللحظة بعد مرور أكثر من أسبوع على بداية الحرب العدوانية المفتوحة، بالرغم من محاولاته المتكررة لاخترق الحدود اللبنانية بواسطة مجموعات مدرعة صغيرة لا تتجاوز الفصيل. تهدف لاكتشاف الوسائل القتالية الجديدة وكيفية استخدامها من قبل المقاتلين اللبنانيين. وبالتالي اختيار قوة حزب الله القتالية. على العكس تماماً مما بدى عليه الجيش الإسرائيلي في قطاع غزة المجرد من وسائل الدفاع والمقاومة الفاعلة مقارنة مع ما هو متوفر للمقاومة الإسلامية والوطنية في لبنان. حيث دفع بالته الحربية إلى قطاع غزة مباشرة بعد تنفيذ عملية «الوهم المتبدد»، ولا يخفى الأمر بأن عملية «أمطار الصيف، والحرب العدوانية ضد لبنان لا تتناسب بأي شكل من

الأشكال مع طبيعة ردود على العمليتين. الذي ينفذ هو مخطط معد مسبقاً وأبعد من رد الفعل. فهي في جوانبها الأساسية وسيلة لاستدراج المنطقة إلى حالة حرب مسيطر عليها إسرائيلياً وأمريكياً، بحسابات تهدف إلى تغيير قواعد اللعبة، لتعيد الحياة للمشروع الأمريكي - الإسرائيلي في المنطقة ولبنان خاصة، بغض النظر عن مدى النجاحات المتوقعة في هذا السياق. وليس مستبعداً كذلك توجيه ضربات جوية لسوريا تجبرها على الرد كما أشار لذلك وزير الإعلام السوري يوم ٢٠٠٦/٧/١٥، رداً على تصاعد التهديدات الإسرائيلية المتزايدة منذ عملية «الوهم المتبدد» المنفذة بتاريخ ٢٥/٦/٢٠٠٦ إلى عملية «الوعد الصادق» وما بعدها. وبالتالي يخلق هذا التغير أمراً واقعاً جديداً لا يمكن تحديده معمله بهذه السهولة، نظراً لاحتمالاته المتعددة الأشكال والمضامين، منها خلق معادلة توازن رعب جديد على الحدود الفلسطينية - اللبنانية.

حزب الله أثبت أنه يمتلك ترسانة صاروخية غير تلك التي كانت تحت التداول والمقدرة بـ (١٢٠٠٠ - ١٥٠٠٠) صاروخ يصل مداها حتى ٢١ كم. فالترسانة التي كشفت عنها تداعيات العملية العسكرية حملت أبعاداً كمية ونوعية جديدة في معادلة الرعب المتبادلة على جانبي الحدود، المعادلة لم تكن قائمة نتيجة القوة التدميرية أو الأسرار التقنية لصواريخ الحزب. بقدر ما كانت جزءاً من عوامل عديدة شكلت عمليات المقاومة الإسلامية ضد قوات الاحتلال الإسرائيلي وجيش العميل لحد، الأرضية الصلبة لتراكم هذه العوامل وأهمها: مصداقية تهديدات حزب الله في الرد على الخروقات والتجاوزات الإسرائيلية التي حصلت بعد الانسحاب القسري للجيش الإسرائيلي من الجنوب في أيار ٢٠٠٠م. بحيث أصبحت هذه الردود سياسة دفاعية بالمعنى الإيجابي لتكتيك المقاومة الإسلامية (نصب الكمائن - الإغارة بالنيران على مواقع العدو في مزارع شبعاء - والحرب النفسية والإعلامية) التي أثمرت في خلق الانطباعات والقناعات لدى الجمهور الإسرائيلي حول مصداقية الحزب وأمينته العام السيد حسن نصر الله.

كذلك العمق الاستراتيجي الإضافي الذي أصبحت تتمتع به وسائل الحزب القتالية، والصاروخية منها على وجه التحديد، جاء على حساب (العمق الاستراتيجي) الذي كانت تتمتع به المستوطنات الصهيونية بشكل نسبي

قبل أيار ٢٠٠٠. حيث ساهم هذا الوضع الجديد باستقرار معادلة الرعب، فقد أصبح العديد من المستوطنات تحت تأثير رمايات الأسلحة الفردية ذات المدى القصيرة. فالردع المتبادل لم يكن نابغاً من عامل تكنولوجية الأسلحة التي يمتلكها الحزب، فهي معروفة إلى حد كبير لدى العدو الصهيوني؛ على الرغم مما أظهرته التجربة اللاحقة من قدرات تقنية عالية أدت إلى إصابة بارحة صهيونية في عرض البحر بتاريخ ٢٠٠٦/٧/١٥ وإمطار المناطق الحيوية في فلسطين المحتلة برشقات صاروخية مؤثرة وذات قدرة تدميرية عالية، وإسقاط منطادين للاستطلاع فوق الأراضي اللبنانية، وقد لا يتوقف الأمر عند هذه الحدود. هي عناصر جديدة تدخل في معادلة توازن الرعب، حتى ضمن قواعد أية لعبة جديدة قد تسود في المنطقة، بعد هذه الحرب المفتوحة التي يشنها العدو الصهيوني.

فالعمق الاستراتيجي مرتبط بمفهوم الحدود الآمنة كمبدأ من مبادئ العقيدة العسكرية الإسرائيلية، الذي لم يعد يحتل تلك الأهمية التي كان يمثلها في الفكر العسكري - العدواني الإسرائيلي. حيث كان يعني فيما يعنيه تأمين المناطق الحيوية والسكنية من التعرض لضربات المدفعية الأرضية والصاروخية القصيرة المدى في ظل (سيادة الجيوش النظامية العربية). حيث أن هناك علاقة بين التعبيرات المادية لهذا المفهوم وعملية الاحتلال والعدوان ذاتها، من زاوية تبرير الاحتفاظ بأجزاء من الأراضي العربية المحتلة..

العاني والدروس التي نجمت عن العمليتين العسكريتين (عملية الوهم المتبدد وعملية الوعد الصادق) جاءت لتؤكد على سقوط عناصر هذا المفهوم وعدم جدوى تداعياته الميدانية، فلم يمنع الإنسحاب الأحادي الجانب وإقامة جدار العزل العنصري للصواريخ الفلسطينية البدائية من إصابة المستوطنات والاشتباك مع العدو. على الرغم من محدودية الخسائر الناجمة عنها، في الاتجاه ذاته فإن رجال المقاومة الإسلامية أظهروا عدم التردد في استخدام ترسانة الصواريخ التي طالت عمق الكيان الصهيوني في فلسطين المحتلة التي أثبتت قدرتها التدميرية العالية ودقة إصاباتهما.

بهذا المستوى من الردع المتبادل حقق الحزب تحيداً، بل إفراغ استهدافات أحد المبادئ الأساسية في العقيدة العسكرية الإسرائيلية من



مضمونه أيضاً، وهو مبدأ «القوة الرادعة، الذي يهدف إلى إقناع العرب بعدم جدوى شن حرب على إسرائيل وإذا ما حدثت يكون الجيش الإسرائيلي قادراً على تحقيق نصر سريع وحاسم وأن يعترف العرب بأنهم سيهزمون..

وهكذا يفكرون، نعم قد يكون لقوة الردع الإسرائيلية مصداقية بالنسبة إلى الجيوش العربية ولكنه افتقدها تماماً في حرب ١٩٧٣. والحرب المفتوحة ضد المقاومة الفلسطينية في الجنوب اللبناني، والآن تسجل المقاومة الفلسطينية بعملياتها النوعية والاستشهادية كذلك المقاومة الإسلامية تجاوزاً يومياً لهذا المبدأ ومفاعليه، الذي لم يعد يعني شيئاً سوى المزيد من التدمير والقتل الجماعي على أساس سياسة «الأرض المحروقة»، ذلك لإثبات مصداقية القوة الرادعة الصهيونية وهو شكل معكوس لجوهر مبدأ الردع المتعارف عليه والذي شاع استخدامه في ظل التوازن النووي بين القوتين الأعظم خلال الحرب الباردة، حيث كان يهدف إلى منع وقوع حرب تقليدية بين العسكريين، من خلال التهديد بالقوة دون استخدامها.

فلم يمنع التهويل بالقوة الرادعة الإسرائيلية فصائل المقاومة الفلسطينية من مهاجمة مواقع عسكرية واستيطانية حتى في المناطق المحتلة عام ١٩٤٨، كذلك فإن هذه الحرب الدائرة ضد لبنان، لم تمنع الحزب وجناحه العسكري جعل من «القوة الرادعة، الأسطورية عرضة للاستنزاف الدائم، بل وتم نقل الحرب إلى عمق المناطق الحيوية في فلسطين المحتلة

وهذا يعني العودة من جديد للاحتلال. لأنه لا يمكن لحزب أممي أن يؤدي مهامه الأمنية دون اللجوء إلى إقامة مواقع عسكرية ونقاط مراقبة، أي بناء نظام دفاعي متكامل تحت السيطرة الإسرائيلية. الأمر الذي

يسهم في تعريض الجيش الصهيوني لعملية استنزاف دائمة على جبهة الجنوب. والسؤال هنا ماذا سيفعل الجيش الصهيوني لمنع إطلاق الصواريخ ذات المدى التي تتجاوز الـ ٢٥كم...؟ هل سيلجأ إلى توسيع الحزام الأمني من جديد... أم إلى خيارات تقوم على تدويل المسألة اللبنانية بما يخدم المخطط الأمريكي في المنطقة؟

أيضاً فإن مطالبة إسرائيل بالإفراج الفوري عن جنودها الأسرى دون إبداء الاستعداد للتفاوض بشأن المطالب الفلسطينية واللبنانية العادلة، الخاصة بالإفراج عن المعتقلين الفلسطينيين واللبنانيين والعرب رغم الاختلاف الكبير بين الحالتين، فهو دليل قاطع على حالة الإرباك التي تتخبط بها حكومة العدو وجيشها الذي لا يقهر... فما الذي يراهن عليه الجيش الصهيوني بعد أن استنفذ كل أشكال استخدام عناصر القوة التقليدية لتدمير الأهداف الحيوية الفلسطينية، واللبنانية وعلى كامل مساحة الوطن...؟

الملفت للنظر أيضاً الموقف الأمريكي الذي يتطابق تماماً مع الموقف الإسرائيلي بشأن العدوان وحججه ضد فلسطين ولبنان، حيث اعتبرت الإدارة الأمريكية أن من حق إسرائيل الدفاع عن نفسها، وكأنها دولة معتدى عليها وليست محتلة لأراضٍ عربية، فقد أفضلت مشروع قرار لوقف العدوان الإسرائيلي على غزة باستخدام حق النقض (الفيتو). كذلك إفضال مجلس الأمن في تبني قرار يهدف إلى وقف إطلاق النار على الجبهة اللبنانية....

هذه المواقف المتكررة هي الثابت في السياسة الأمريكية من قضايا الصراع العربي الإسرائيلي، وإلى حد كبير الموقف الأوروبي الذي يتماثل مع الموقف الأمريكي ولم يغادر فلكه. وعليه فإن المراهنة على أي تغيير في هذه السياسة هي شكل من أشكال «الوهم القتال، الذي يراد لعقولنا وممارساتنا استيعابه والعمل بمقتضاه، لتسويق مشاريع الهزيمة المعدة مسبقاً إسرائيلياً وأمريكياً. وتطبيع العقل العربي بأن يقبل ويبرر ويستوعب الهزيمة. لقد أثبتت هذه الحرب والعمليات العسكرية التي سبقتها بأن المقاومة هي الخيار الاستراتيجي الذي لا بد للعدو أن يعترف بمفاعيلها شاء أم أبى.

فالعادلة التي ليس بجانبها سيف لا يمكن أن تتحقق أو تسود

غزة هاشم عصية دوماً على الغزاة!



اسم مدينة غزة مشتق من العزة والمتعة، وهي من أقدم المدن التي عرفها التاريخ، ورافقت منذ الأزل إلى يومنا هذا، أسماها المينيون والسيثيون في ٣٧٥٠ ق.م وهي تقع عند ملتقى الطرق التجارية القادمة من مصر والجزيرة العربية واليمن ومن بلاد الشام والعراق، وهي منفذ تجارة التوابل القادمة

من الهند إلى أوروبا لوجودها على ساحل البحر المتوسط، وتاريخ صمودها مجيد، إذ تم يبق فاتح من الفاتحين أو غاز من الغزاة المتقدمين والمتأخرين إلا وصمدت غزة العريقة في وجهه صمود الجبابرة، وعانى من مقاومتها الباسلة، ولم تقع غزة في يوم من الأيام غنيمه باردة، ولم تدعن للغزاة أو تستسلم للمحتلين، أو تلق لهم عصا الطاعة، ولها جلد وصبر على المقاومة قبل نظيره، حتى لو اجتاحت فسرعان ما تلمم جراحها وتنهض لمناوئة المحتل، والقادم من الغرب إذا ما اجتاح غزة سقطت بيده بلاد الشام، والقادم من الشرق إن تمكن من غزة هوت في يده مصر، تهبها العيرانيون وانكسروا عنها، وتساوت القراصنة والمكسوس، حاصرها الإسكندر المقدوني في آب عام ٣٣٥ قبل الميلاد أربعة أشهر وقتلها بالمتجنيق، فرشقه أحد المدافع عنها بسهم اخترق ذراعه وثقب صدره، وبخضعة تمكن الإسكندر من اجتياحها وأعمل في أهلها السيف فقتل عشرة آلاف رجل من حماتها وسفك الدماء وسبي النساء والأطفال.

عيد الكريم الحشاش



منهم من أهدى إلى أوروبا لوجودها على ساحل البحر المتوسط، وتاريخ صمودها مجيد، إذ تم يبق فاتح من الفاتحين أو غاز من الغزاة المتقدمين والمتأخرين إلا وصمدت غزة العريقة في وجهه صمود الجبابرة، وعانى من مقاومتها الباسلة، ولم تقع غزة في يوم من الأيام غنيمه باردة، ولم تدعن للغزاة أو تستسلم للمحتلين، أو تلق لهم عصا الطاعة، ولها جلد وصبر على المقاومة قبل نظيره، حتى لو اجتاحت فسرعان ما تلمم جراحها وتنهض لمناوئة المحتل، والقادم من الغرب إذا ما اجتاح غزة سقطت بيده بلاد الشام، والقادم من الشرق إن تمكن من غزة هوت في يده مصر، تهبها العيرانيون وانكسروا عنها، وتساوت القراصنة والمكسوس، حاصرها الإسكندر المقدوني في آب عام ٣٣٥ قبل الميلاد أربعة أشهر وقتلها بالمتجنيق، فرشقه أحد المدافع عنها بسهم اخترق ذراعه وثقب صدره، وبخضعة تمكن الإسكندر من اجتياحها وأعمل في أهلها السيف فقتل عشرة آلاف رجل من حماتها وسفك الدماء وسبي النساء والأطفال.



وقد دمر التتار بغداد عام ٦٥٦ هجرية واحتلوا دمشق وبلاد الشام عام ٦٥٨ هـ ووصلوا إلى أطراف غزة، فتقدم الظاهر بيبرس إلى غزة وتبعه سيف الدين قطز ومكث الجيوش في غزة وناوشوا التتار، فاندحر التتار وسار المماليك إثرهم إلى أن التقى الجيشان في عين جالوت، وانتصر المسلمون نصراً مؤزراً، وانهمزم التتار شر هزيمة، وتنازل هزائمهم في بيسان وشحبح قرب دمشق.

وقضت غزة في وجه نابليون وأوشك أن يلقي مصرعه قريبا، كما وقضت غزة وحاميتها التركية سداً منيعاً وأوقفت تقدم الإنجليز لمدة طويلة إلى أن تضعض العثمانيون وسقطت فلسطين بيد الغزاة، وحين وصلها تشرشل عام ١٩٢١ بالقطار قادماً من مصر متقدماً الأماكن التي دارت فيها المعارك الرهيبة في الحرب العالمية الأولى التي فشل فيها الجنرال البريطاني موري من احتلال غزة، ومن ثم احتلها اللبني، وقد رافق تشرشل هيربرت صموئيل المندوب السامي لفلسطين ولورنس ومعه نساء وقواد، وترجل هؤلاء وساروا من محطة القططار إلى السرايا داخل المدينة، فشاهدوا الناس متجمهرين واقفين على الصفين، لا لاستقبال الزائرين وإنما لإبداء السخط والاحتجاج على الانتداب ووعده بلقور المشؤوم، وقال المايجور ث.



لليهود في فلسطين، بالرغم من أن هذه السياسة لم تكن قد مستهم يسوء، ولا كان حتى ذلك اليوم نزل أحد المستعمرين أو المهاجرين هذه المدينة، ولم يفهم بعض أعضاء الوفد العبارات التي كان المتظاهرون يلفظونها، حتى إن سيدة ممن يرافقت البعثة ظنّت أنها مظاهرة ودية، فخاطبت تشرشل



س غارفس إن أهالي غزة المياليين بطبيعة الحال للعتاد والمشاكسة كانوا يومئذ على أشد ما يكون من الكره والبغضاء لسياسة الانتداب والخطة الصهيونية الداعية إلى إنشاء وطن قومي



كثيبة للفدائيين، وتعرضت غزة للاحتلال عام ١٩٥٦ إبان العدوان الثلاثي، وقال الصهاينة أنهم شاركوا في هذا العدوان الثلاثي على غزة وسبناه انتقاماً من الفدائيين، واقترب الصهاينة المجازر بحق أهلها وانسحبوا منها، وأعادوا احتلالها عام ١٩٦٧ وصمدت لهم غزة وسرعان ما غدت جحيماً لا يطاق، ومشهورة أمنية رابين التي تمس أن يستيقظ في الصباح ليجد أن البحر قد التهم غزة وأراحه منها.

وحاول الصهاينة أن يقيموا على أرضها المستوطنات ليستأنس الجنود، ويجدوا ملافاً أمنياً للراحة والاختباء، ولكن المستوطنات غدت عبئاً عليهم، وابتدع المقاومون أساليب جديدة في النضال وحرب العصابات والعمليات الاستشهادية، فقرر شارون الانسحاب منها بمستوطناتهم وجنودهم، وكان هدفهم أن يعينوا في غزة قتلاً وتدميراً والمستوطنون في منأى عن الخطر، وما زالت غزة ترفض أن يتفرد الصهاينة بالضفة ويلتهموا المزيد من الأراضي ويقتلوا ويغدروا ويقتلوا، فأصر شعبها الياسل على الدخول في أتون الحركة رغم جسامه التضحيات، ورغم الحصار الجائر من العدو والصديق والسكوت المطبق والخوف الشديد من قبل القادة العرب.

والغريب أنه مع الهمس الخافت بالأعجاب بالثقاومة والعملية التوعوية على الموقع العسكري الإسرائيلي في كرم ابن سالم وأسر العريف الإسرائيلي التي عجزت عن القيام به جيوش جزارة، ومع هذا ترى أشقاءنا العرب يتعاملون مع الفلسطينيين بشكل عام وأهل غزة بشكل خاص تعاملهم مع غزالي الإيل، حدث ولا حرج عن سوء التعامل في القطارات والحدود والإقامة والعمل، ولكن لن يكون هذا قدر الإنسان الفلسطيني إلى الأبد، والله من الغالبين: «له نزه من فحل لو أن لنا منه سخلة».



من الوهم المتبدد .. إلى الوعد الصادق:

كل الدعم للمقاومة

بقلم: صلاح محمد

تواصل تداعيات العملية النوعية لرجال المقاومة الإسلامية في لبنان والتي أطلق عليها "الوعد الصادق" كتجسيد للوعد الذي أطلقه الشيخ حسن نصر الله بأن يكون هذا العام... عام تحرير المعتقلين في سجن دولة الاحتلال، لقد فاجأ مستوى تلك العملية وتناجحها العديد من الأوساط، وكان لها وقع الصاعقة على رأس الحكومة الإسرائيلية وأركان حربها.

ومما زاد الطين بلة بالنسبة للصهاينة كونهم لم يتمكنوا بعد من استيعاب النتائج الداخلية لعملية الوهم المتبدد، التي نفذها رجال المقاومة الفلسطينية شرقي مدينة رفح داخل المناطق المحتلة عام ١٩٤٨ بعمق مائتي متر وذات الشيء بالنسبة لعملية الوعد الصادق التي تمت بالواجهة مع دورية إسرائيلية مؤلفة أي وجها لوجه، لكن كيف يحصل هذا خلال أقل من شهر، من أقصى جنوب الشريط الساحلي لفلسطين إلى أقصى شمال ذات الشريط، هذا الجيش الدموي الذي يقم نفسه بالمقارنة مع جيوش الدول الكبرى وليس مع جيوش

متطقتنا وبالتالي أصبح يطلق عليه الجيش الثالث عشر دولياً من حيث القوة، بالتأكيد لا أحد ينكر مستوى هذا الجيش المستمد من وظيفته الاستعمارية الإجلالية حيث أنه يتشكل من غالبية مجتمع دولة الاحتلال، إضافة إلى التقدم العلمي المسخر لأسلحته وتطويرها ووضع الخبرة الأمريكية الأوربية في هذا الحقل تحت خدمته نظراً للترابط الوثيق في المصالح الإستراتيجية...

وإذ كنا لا نسمى إلى إسقاط رغباتنا الذاتية لدى الحديث عن «دولة الجيش»، ونقر بذلك التقييم لقوة عدونا، لكن الشيء المؤكد أن تلك القوة لم تكن بهذا المستوى من الأداء لو كانت الالتفاف العربي حول تلك العمليات لأنها قد عبرت عن مشاعرنا ومواقفنا المحيوسة. إن صمود نهج المقاومة أمام المخطط الدموي الإسرائيلي ومن وسط هذا الصمود والصبر يصر إلى ضربات محددة ومحدودة، متنقلة مترابطة تلقائياً كما حدث بين غزة وشمال فلسطين هو الكفيل ببلورة الموقف الشعبي العربي الداعم والمناصر للمقاومة ولشعبها في فلسطين ولبنان... إن الصمود البطولي في قطاع غزة ورفض الانحناء أمام الشروط الصهيونية المذلة وتوحد فعاليات المقاومة واتفاقها على البرنامج السياسي المشترك، كان عاملاً محركاً للتداعيات اللاحقة وكان أبرزها عملية الوعد الصادق، فالمقاومة في لبنان موضوعياً قد دعمت المقاومة الفلسطينية وصمود شعبها، وهو معطى يتناغم مع خصائص المقاومة اللبنانية

جيوشنا العربية بذات الاهتمام الاستراتيجي من قبل المؤسسة الرسمية، أي أن ضعف جيوشنا المتمثل في طبيعة وظيفتها الداخلية. وبالتالي نظام تسليحها وطرق بنائها هو الذي أظهر قوة الجيش الصهيوني.

إن تضاعفات هذه الحرب من زاوية مخططيها أو مشجعيها لن تكون مفاجئة للقوى الحية في منطقتنا أو لشعبها وهنا ستكون الاحتمالات مفتوحة أمام تصعيد العدوان، لكن الشيء المؤلم هو تلك التداعيات الصادرة عن بعض المؤسسات الرسمية العربية ومحاولة أصحابها التملص من توفير الدعم السياسي للمقاومة والدفاع عن سيادة لبنان وقد وصل الأمر بهذا البعض إلى حد التناغم مع الموقف الأمريكي بسحب جزئي للغطاء السياسي العربي الرسمي عن المقاومة، إن المغامرة المتناقضة مع قرارات الشرعية الدولية وموانيق وثوانح الأمم المتحدة هي الخطوات الإسرائيلية الدموية المدعومة أمريكياً سواء بصناعة حمام الدم لأبناء شعب فلسطين أو للشعب اللبناني، أما العمليات الدفاعية التي تهدف إطلاق سراح آلاف المعتقلين في سجون الاحتلال، وللمحافظة على ما تبقى من كرامة عربية وحقوق مهدورة ومستباحة، فهي عمليات محسوبة ومشروعة بكل الأعراف السماوية والقانونية الدولية... ومن الصفحة المقابلة: لقد أعادت عمليات المقاومة الأحداث والتطورات إلى سياقها الطبيعي في إطار الاشتباك المفتوح بين المشروعين: الاستعماري الإجلالي الصهيوني، والتحرري الوطني العربي في هذه المرحلة، وليس غريباً ذلك

الالتفاف العربي حول تلك العمليات لأنها قد عبرت عن مشاعرنا ومواقفنا المحيوسة. إن صمود نهج المقاومة أمام المخطط الدموي الإسرائيلي ومن وسط هذا الصمود والصبر يصر إلى ضربات محددة ومحدودة، متنقلة مترابطة تلقائياً كما حدث بين غزة وشمال فلسطين هو الكفيل ببلورة الموقف الشعبي العربي الداعم والمناصر للمقاومة ولشعبها في فلسطين ولبنان... إن الصمود البطولي في قطاع غزة ورفض الانحناء أمام الشروط الصهيونية المذلة وتوحد فعاليات المقاومة واتفاقها على البرنامج السياسي المشترك، كان عاملاً محركاً للتداعيات اللاحقة وكان أبرزها عملية الوعد الصادق، فالمقاومة في لبنان موضوعياً قد دعمت المقاومة الفلسطينية وصمود شعبها، وهو معطى يتناغم مع خصائص المقاومة اللبنانية

وأهدافها الوطنية، إنه أيضاً التكامل الذي يفيد في إعادة توازن الرعب، ويفرض على العدو التراجع، مثلما يتوقع أن يحصل مع موضوع الأسرى، فالتنسيق اللبناني الفلسطيني بمخاطبته بموقف موحد حول التبادلية في الأسرى يضع هذا العدو في مأزق جديد، بعد أن يفرغ ما في جعبته من صواريخ ويثبت حقه ومهما توسع في عدوانه سوف يتوقف اتصالاً بالصمود الميداني والسياسي وبالتالي لا بد أن يستدير للتفاوض غير المباشر لاسترجاع أسراه الثلاثة ويتراجع عن شروطه... إن المطلوب الآن من قبل جميع القوى بذل الجهود من أجل إبراز قضية الأسرى الفلسطينيين والعرب في سجون الاحتلال بكل الوسائل وعلى فصائل المقاومة الفلسطينية أن تشدد من مقاومتها ضد الاحتلال بكل الوسائل الممكنة وأن تبعد النشاط المنفرد لمصلحة مصداقية القوى والأحزاب العربية بالوقوف إلى جانب الشعبين اللبناني والفلسطيني والمقاومة، لأن هذه الاعتداءات الدموية المتواصلة تطول كرامة الأمة وأهدافها، بهذا الإطار نتوقع من الجامعة العربية ومؤسساتنا الرسمية التحرك الفاعل والسريع لوقف العدوان على الشعبين ومطالبة الأمم المتحدة القيام بدورها ورفض تعدد المعايير الأمريكية في التعامل مع قضايا شعوبنا هي المواقف المنسجمة مع تطلعات أصحابها وتجعل سيرتهم متنقلة من جيل إلى آخر ومن زمان إلى آخر وسط شعوب أمتنا، هذا هو حال الموقف من المقاومة المشروعة ضد

الاحتلال والمحتلين أينما كانوا وبغض النظر عن أسمائهم. ولكي تستعيد الحكومة الصهيونية هيبة جيشها أطلقت له العنان في إبراز سيطرته العسكرية الشاملة، ليضرب البنى التحتية لدولة لبنان من الجنوب إلى الشمال ومحاولاً إيقاع أكبر نسبة من الضحايا وسط المدنيين اللبنانيين باحثاً عن شرخ يزرعه بين المقاومة وشعبها، بل سوف يستثمر التناقضات في الداخل اللبناني إلى أبعد نقطة ممكنة وهي نقطة الضعف الرئيسية، حيث راهنت الإدارة الأمريكية ومعها حلفاؤها على مسعى تفكيك الوضع اللبناني وإعادة تركيبه ومن ثم جره إلى مربعا وهو الأمر الذي أصبح واضحاً بعد حادثة الاغتيال المروعة للشهيد رفيق الحريري في بداية العام الماضي...

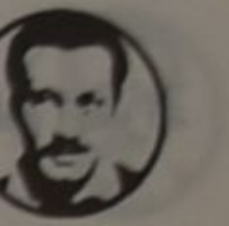
ولقد حققت بعض الإنجازات إلا أنها لم تستطع تحقيق أهدافها الرئيسية، لذا ستدفع هذه الإدارة الأمريكية بالحرب الإسرائيلية على لبنان إلى أكبر مساحة ممكنة قد تساعد في إعادة ترتيب الوضع اللبناني، بهذا السياق قد تشجع حلفاؤها المحليين للتحرك ضد المقاومة بحجة إنقاذ لبنان وليس الدفاع عنه في مواجهة موجات الحرب الصهيونية، لكن المعادلة اللبنانية بمحصلتها لن تكون سهلة على المخطط الأمريكي... وهنا يتوجب تكبير كافة أطياف اللون السياسي اللبناني بالانتباه من المناورات الأمريكية، فلن تقف أمريكا معكم لصد العدوان إلا بمقدار التقاطع مع مصالحها وليس مصالح لبنان، ولعل استخدام الفيتو الأمريكي



الهدف - آب (أغسطس) - ٢٠٠٦ - العدد (١٣٨٠)

ضد مشروع قرار يدعو إسرائيل لوقف حربها على قطاع غزة أكبر مثال على ذلك، إن الإدارة الأمريكية في مأزق ولا تحتاج للبحث عن ذرائع للتفيس عن ذلك المأزق وبالتالي تريد إظهار قوتها ومدى تحكمها بالأحداث لإدارتها وليس من أجل توفير حل عادل لها، إن سبب مأزقها هو من نتاج سياساتها العدوانية التي تبدأ من العراق وإيران، أفغانستان، كوريا الشمالية ثم في فلسطين ولبنان وسوريا، إنها مستعدة الآن لأن تدوس على حلفائها أو أسدقائها الصغار في سبيل التخفيف من أزمته المستعصية في تلك المحاور... وليس مستبعداً ضمن هذا التوجه أن توافق على توسيع دائرة العدوان ليشمل سوريا لما تشكله من ممانعة في وجه هذا المخطط المتصادم مع مصالح منطقتنا.

بعد ذلك هناك بعض التساؤلات الموجهة إلى بعض من ملوكنا وروسائنا: قد خضتم تجربة التسوية بالمفهوم الأمريكي، وتثبتت القمم العربية خيار السلام كروية إستراتيجية، وصدر عن قمة بيروت قبيل العدوان على العراق مبادرة السلام العربية، ماذا تحقق بعد هذه التجربة التي استهلكت ما يقرب من ثلاثة عقود، هل تجاوبت إسرائيل مع التزاماتها، هل رفعت يد التخريب في داخل العديد من أقطارنا، ماذا لم يتحقق أي شيء لصالح شعب فلسطين، هل تشعرعون أن الموقف الأمريكي ينصف الحد الأدنى من حقوقنا، ماذا لم تنسحب إسرائيل من كامل الأراضي اللبنانية، هل دولة الاحتلال مستعدة للسلام العادل، لماذا فشلت محاولات التظهير في الشارع العربي، يتعرض شقيقكم شعب فلسطين لحصار شامل محكم وخائق منذ خمسة أشهر تبعاً للقرارات الأمريكية، إضافة إلى المحازر اليومية التي يعيشها قطاع غزة، وأمور الدعم العربية المرسله للسلطة الوطنية موجودة في البنوك العربية ولا أحد يستطيع رفض تلك القرارات حتى لو أصبح شعب فلسطين قاب قوسين أو أدنى من الكارثة الإنسانية؟ بهذا المنحى حاولت المقاومة اللبنانية تحرير أسراها، وتخفيف الضغط عن قطاع غزة والتذكير بأن جزءاً من جنوب لبنان لا يزال محتلاً. أليس من حقها، لماذا تصور التصريحات التي قد يستخدمها جيش الاحتلال كغطاء لعدوانه، من الخطأ الإفراط في التماشي مع الرغبات الأمريكية وهي في ذات الوقت ترفض إتمام مناقشة العدوان على لبنان في مجلس الأمن كما أشهرت حق الفيتو ضد مشروع قرار يدعو لوقف الحرب على قطاع غزة.



الوعد الصادق:

وصل الخط المتقطع من لبنان.. إلى غزة

إعداد: أبو اسكندر السوداني

اعتبر الكثيرون أن الانسحاب الإسرائيلي الذي تم من أراضي جنوب لبنان قبل بضعة أعوام خلت، سوف يترتب عليه تغييراً رئيسياً في الأمر الواقع ميدانياً في منطقة الشرق الأوسط. وذلك لأنه سوف تترتب عليه الكثير من الفرص المتاحة للاستقلال الإيجابي، وفي نفس الوقت سوف يؤدي هذا الانسحاب إلى تقليل المخاطر إلى أدنى حد ممكن.

السياسة الاستراتيجية الإسرائيلية كعادتها تطرح ما هو (معلن)، من أجل الخداع والتضليل وتحفظ بما هو (باطني) من أجل حماية أهدافها الحقيقية، وما حدث في الظروف والملابسات التي أحاطت بالانسحاب الإسرائيلي السابق من لبنان، يؤكد ذلك؛ إذ أوهمت إسرائيل الرأي العام العالمي، بأن انسحابها قد حتمه عاملان: الأول يتمثل في الظروف التي حدثت ضمنها عملية الانسحاب، أما الثاني فيتمثل في ردود أفعال الفاعلين المحليين والإقليميين والدوليين المعنيين بالأزمة في الشرق الأوسط. حقائق المشهد كانت تقول بوضوح بأن الأداء السلوكي الإسرائيلي في عملية الانسحاب من جنوب لبنان، كان بنقي وموثوقية كل ما هو (معلن) آنذاك بواسطة الكيان الصهيوني.. فهي لم تنسحب من كل الأراضي اللبنانية واحتفظت كذلك بالأسرى اللبنانيين. ووفقاً لهذين التجاوزين فهي احتفظت عملياً بمحفزات ومفاعيل الأزمة، بما يثبت تماماً أن إسرائيل قبل أن تقدم على توقيع أية اتفاقية، تكون قد درست تماماً كيفية الـ (تنصل والتملص) من إلزامية بنود هذه الاتفاقية، وهو أمر أشار إليه إيرئيل شارون بوضوح وعلى الملأ. لبنانياً اتضحت الصورة بقدر أكبر خلال أول أربع وعشرين ساعة أعقبت الانسحاب، ففي غمرة الفرح الشعبي بالنصر الذي حققته المقاومة اللبنانية، برزت أصوات تتحدث عن الوجود العربي السوري والعربي الفلسطيني في لبنان، وظن الكثيرون أن هذه القوى تبحث عن تحقيق إنجاز معادل لما حققته المقاومة الوطنية

البنانية، ولكن النظرة البعيدة كانت تؤكد بأن ثمة أجندة إسرائيلية أمريكية تكمن في مفردات خطاب هذه القوى.. بعد إنجاز المحطة الأولى للمخطط الإسرائيلي بالانسحاب ويزور تيار الانشقاق الوطني اللبناني، جاء مؤتمر باريس لـ (المانحين) ليشكل المحطة الثانية، والذي هروئت نحوه بعض الرموز السياسية في لبنان، وقد صاحبت مؤتمر باريس هذا الكثير من المشروطيات والبنود الخفية، التي جعلت مؤتمر باريس يأخذ صيغة صفقة تربط تقديم الدعم، من جهة، بجملة من المطالب الداخلية صارت معروفة، وعندما انقسم الرأي العام اللبناني ما بين مؤيد للتوجهات الوطنية اللبنانية، وبين مؤيد للسير في التبعية والركوب على القطار الإسرائيلي. بدأت المحطة الثالثة بعملية الاغتيال الدراماتيكي للرئيس المستقيل رفيق الحريري، وصولاً إلى إصدار القرار الدولي رقم ١٥٥٩ وما تبعه.

كان السيناريو الإسرائيلي الأمريكي الفرنسي البريطاني يقوم على تزوير وتركيب الأدلة التي تؤدي لتجريم سوريا بعملية الاغتيال، وقد حقق المحقق الدولي ديتليف ميليس فشلاً ذريعاً في ذلك، الأمر الذي دفعه إلى التخلي والاستقالة فجلاً بعد افتتاح أمره. لجأت إسرائيل وحلفاؤها بعد ذلك إلى استخدام تيار المستقبل و « ثوار الأرز» من أجل تفعيل الأجندة الخفية غير المعلنة، والتي تم تحميلها ضمناً لمحتوى القرار الدولي ١٥٥٩، وذلك لجهة الضغط على الفلسطينيين الموجودين في لبنان، والقوى الوطنية اللبنانية،

من أجل نزع سلاحها على النحو الذي يجعل من الإرادة الوطنية اللبنانية مجردة من أي سلاح تدافع به عن نفسها إزاء قوات (جيش الدفاع الإسرائيلي)!

أصبح الشارع اللبناني أكثر وعياً بحقيقة المؤامرة، بسبب افتتاح أمر مهمة المحقق ديتليف ميليس، وبسبب الجرائم الأمريكية في العراق وأفغانستان، إضافة إلى نجاح عناصر الأمن اللبناني في اعتقال أفراد الشبكات التي زرعتها الموساد في لبنان.

إزاء هذه المتغيرات العاصفة، بدأ القلق يدب في أوصال الدوائر الإسرائيلية، وذلك لأن اكتشاف هذه الشبكات قد يؤدي إلى ظهور المزيد من الدلائل التي بلا شك سوف تكشف تورط الكيان الصهيوني بالكامل في عمليات الاغتيال التي حدثت في لبنان، وبالذات اغتيال الرئيس رفيق الحريري، وسمير قصير، والمناضل جورج حاوي، وجبران تويني، وبشكل يضع الكيان الصهيوني وقادته وضباط مخابراته في مواجهة قرار التحقيق الدولي. ولكي تجد إسرائيل الفرصة وتنفذ مخططاتها، قامت ببعض الأعمال الاستفزازية، والتي تؤدي بلا شك إلى استنهاض ودفع المقاومة اللبنانية للرد، وبالذات حزب الله، ومن ثم على خلفية تشديد العدوان وتصعيد الهجوم ضد قطاع غزة، قامت الطائرات الإسرائيلية بطلعات جوية استفزازية في جنوب لبنان، على النحو الذي دفع حزب الله اللبناني بممارسة حقته في الرد والدفاع عن السيادة الوطنية اللبنانية، ومن ثم قام بتنفيذ عملية نوعية، تمكن فيها بعد اشتباك مسلح داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة. استمر نصف ساعة. من أسر جنديين إسرائيليين. وعلى الرغم من أن الاشتباك بين حزب الله وقوات الكيان الصهيوني ظلت متكررة بشكل شبه دائم، إلا أن إسرائيل قامت ليس بالرد على هجوم حزب الله. كما تدعي، وإنما بتنفيذ مخططاتها الهادفة إلى اجتياح لبنان وتدمير قدراته.

أعلنت إسرائيل انسحابها من قطاع غزة، لصالح السلطة الفلسطينية، ولكنها جعلت من إدارة القطاع أمراً مستحيلاً لأي سلطة فلسطينية، كذلك أعلنت انسحابها الكامل عن جنوب لبنان، ولكنها نفذت انسحاباً منقوصاً احتفظت لنفسها فيه بمزارع شبعاء، وبحق اعتقال اللبنانيين في سجونها بشكل مفتوح.

وبذلك تكون إسرائيل قد احتفظت لنفسها بمفاعيل التغذية العكسية التي تمكنها من

إشعال فتيل الصراع في الوقت الذي يناسبها، وهو ما حدث الآن. لأن إسرائيل في هذا الوقت بالذات تعد العدة لإعلان حدودها من جانب واحد، دون أي اعتبار للاتفاقيات التي وقعتها حول هذا الأمر، إضافة إلى أنها تريد المزيد من التصعيد بما يوفر لها المبررات لبناء الجدار العازل، ليس في المناطق التي حددتها من قبل، وإنما ضمن مخطط جديد يتيح لها (قضم) ضم المزيد من الأراضي الفلسطينية. كذلك هناك مخطط (باطني) إسرائيلي بدأت معالمه تظهر أكثر فأكثر يتمثل في عملية القضاء على القوام المؤسسي للسلطة الفلسطينية رمزية، تتكون من بعض الأفراد والشخصيات الفلسطينية، وذلك لجهة استخدامهم لـ (ديكور) أمام المجتمع الدولي والرأي العام العالمي، ولكن دون وجود مؤسسي ميداني فعلي على الأرض، وحالياً تقوم القوات الإسرائيلية بتنفيذ عملية القضاء على البنى التحتية للمؤسسة الفلسطينية، وتبدو ثمة رسالة وإشارة إسرائيلية يمكن قراءتها بوضوح من عملية قصف وزارة الخارجية الفلسطينية، وما شابه ذلك. في حقيقة الأمر، يمكن الحديث عن مسارين إسرائيليين لتنفيذ مخطط القضاء على السلطة الفلسطينية: الأول، خارجي وذلك عن طريق دفع البلدان الغربية إلى مقاطعة السلطة الفلسطينية والفلسطينيين، بدواعي أنها سلطة إرهابية، وبالتالي يجب على العالم الخارجي استهدافها ضمن حملة الحرب ضد الإرهاب، وأيضاً التآمر مع الإدارة الأمريكية من أجل القضاء على وجود المنظمات الدولية، وغير الحكومية الموجودة في مناطق السلطة الفلسطينية، أما الثاني فهو داخلي ضمن الأراضي المحتلة ويتضمن عملية القضاء

على كل ما هو فلسطيني بدءاً من كل ما يحمل دلالة سيادية فلسطينية، وذلك لا بسبب حماس أو الجهاد الإسلامي، وإنما من أجل استئصال القيمة الرمزية للسيادة الفلسطينية على المستوى الميداني في المناطق المحتلة. التجربة الصعبة التي تعرضت لها دولة الكيان الصهيوني من جراء مغامرتها العسكرية غير المحسوبة في لبنان، أدت إلى اكتشاف الأمن الإسرائيلي، وذلك لأن شبكة الدفاع الصاروخي التي كانت تعتمد عليها إسرائيل في حماية أمنها الاستراتيجي، قد أظهرت عجزاً كاملاً، وذلك عندما لم تستطع صواريخ (أرو) الإسرائيلية اعتراض أي من صواريخ حزب الله. وقد علق أحد مراكز الدراسات الاستراتيجية، على أن النجاح الذي حققته شبكة الدفاع الصاروخي الإسرائيلية من قبل في مواجهة صواريخ سكود وشهاب، كان بسبب أن هذين الصاروخين يتميزان بكبر الحجم، وبالتحليق على ارتفاعات شاهقة، على النحو الذي يسهل اعتراضها، أما صواريخ حزب الله، مثل فجر ٣ وغيرها، فيسبب انخفاض مدى ارتفاعها، وصغر حجمها، فإن اعتراضها يحتاج إلى شبكات دفاع صاروخي ليزرية، وهو أمر لن تستطيع إسرائيل التوصل إليه إلا في نهاية عام ٢٠٠٨ على الأقل.

ماكينات اللوبي الإسرائيلي واصلت نشاطها، وكان من أبرزها معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى، الذي أسسه مارتن أندريك زعيم منظمة الإيباك، وكان من أبرز فعاليات هذا المعهد الصهيوني أن قام بنشاط مكثف حول دعم الغزو العدواني الإسرائيلي في كل من قطاع غزة ولبنان.

تحدث دينيس روس. مبعوث السلام الأمريكي السابق في الشرق الأوسط، والمستشار في معهد واشنطن، مطالباً بإقامة (مظلة)



الهدف - آب (أغسطس) - ٢٠٠٦ - العدد (١٢٨٠)

عربية تضم الأردن، السعودية، ومصر على أن يضاف إليها لاحقاً الدول التي تربطها مع إسرائيل اتفاقية سلام، وربما بعض الدول العربية الأخرى مثل الكويت.. كذلك طالب بأن يضم كلاً من محمود عباس عن السلطة الفلسطينية، وفؤاد السنيورة عن الحكومة اللبنانية.

أما موسى يالون. رئيس الأركان الإسرائيلي السابق، فقد قدم مداخلة حاول فيها التأكيد على ضرورة جعل الاحتلال أمراً واقعاً من أجل حماية الأمن الإسرائيلي.

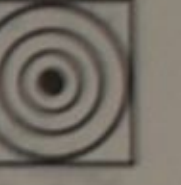
إن الهدف الحقيقي للعدوان الإسرائيلي متعدد الأبعاد، فهو يهدف إلى صرف انتباه العالم عما يحدث من فظائع تقوم بها القوات الإسرائيلية، إضافة إلى إعطاء حكومة الكيان الصهيوني الفرصة لكي تعلن حدودها من طرف واحد، مع القضاء على مؤسسية السلطة الفلسطينية على الصعيد الإقليمي، فهدف العدوان هو توجيه ضربة إلى حزب الله لعودة الاحتلال الإسرائيلي على جنوب لبنان، وربما لبنان كله وإقامة نظام احتلال إسرائيلي في لبنان شبيه بنظام الاحتلال الأمريكي في العراق. كذلك يهدف هذا العدوان إلى تهديد العدوان الأمريكي. الإسرائيلي ضد إيران، والمتوقع حدوثه قبل انتخابات مجلس النواب الأمريكي في نوفمبر القادم، وذلك حتى يستطيع الحزب الجمهوري الأمريكي استخدام نتائجه ضمن الدعاية الانتخابية، وعلى المستوى الميداني الإقليمي. يهدف هذا العدوان إلى حرمان إيران من حليفها الرئيسي في المنطقة، والذي يمكن أن يوجه ضربة انتقامية ضد إسرائيل في حالة تعرض إيران لعدوان أمريكي إسرائيلي.

النتيجة التي أربكت مخططي البنتاغون تمثلت في انهيار موديل الصراع السني الشيعي الذي كان يخطط له البنتاغون والموساد في المنطقة العربية. إن كل التنظيمات السنية والشيعية، على الرغم من اختلافاتها فهي تقف بشكل موحد إزاء مناهضة ومقاومة الكيان الصهيوني. لذلك برزت بعض التصريحات بين خبراء العمليات النفسية والسيكولوجية الأمريكيين والإسرائيليين بضرورة التخلي عن هذا الموضوع، لأن المساندة بين حماس وحزب الله، هي وفقاً للقراءة الدينية، تمثل مساندة سنية شيعية، وهو ما شكل مفاجأة للجميع بما فيهم خبراء وزارة الخارجية، وأعضاء لجنة الأمن والدفاع بمجلسي النواب، والشيوخ الأمريكيين.



القطبية الأمريكية بين التهديد الكوري .. والتحدى الإيراني!

محمد صوان



تحتل «أزمة الصواريخ» المرتبة الأولى على الأجندة الأمريكية - الإسرائيلية، ولكل منهما عنوان مختلف لاسم هذا الصاروخ.. فواشنطن وطوكيو غاضبتين من صاروخ كوريا الشمالية الجديد المسمى «تايبو دونغ ٢»، على الرغم من فشل تجربة إطلاقه، فواشنطن تقول أنه «تهديد لأمنا القومي»، ولم تتردد طوكيو في التلويح بإجراء عسكري ضد بيونغ يانغ، على الرغم من أنها ووفقاً لوثيقة «الاستسلام» التي وقعها جنرالاتها بعد هزيمتهم في الحرب الكورية الثانية وأمام الجنرال الأمريكي «مارك آرثر» تعهدت بعدم إنشاء قوات عسكرية، أو صناعات عسكرية، أو أية مهمات ذات طابع عسكري.



صواريخ.. وصواريخ..

لكنها الولايات المتحدة التي تحلل ما تشاء وتحرم ما تشاء.. ورأينا كيف انضمت «القوات» اليابانية لحرب إدارة بوش العدوانية على العراق تحت مسمى قوات «متعددة الجنسيات» التي حولت العراق كله إلى مقبرة جماعية للشعب العراقي.. وليس مستبعداً والحال هذه أن تنهض القوات العسكرية اليابانية لاحقاً تحت المظلة الأمريكية.. إذا ما اقتضت المصلحة القومية الأمريكية ذلك لمواجهة المتغيرات الجيو سياسية المتوقعة في منطقة الشرق الأوسط وجنوب شرق آسيا.. بعد أن تستكمل القوى العظمى نهوضها الجديد، وتقصد بذلك روسيا والصين على وجه الخصوص.

الإسرائيلية على «الإرهاب الإسلامي».. وهي أيضاً على عداوة تقليدية مع الصين المنافس الوشيك للولايات المتحدة في زعامة العالم، أو الساعي لإنهاء تفرداها في قيادة العالم.. ولهذا لم يكن مستغرباً قيام إدارة بوش بفتح الترسانة النووية الأمريكية للهند وتزويدها بكل ما تحتاجه مفاعلاتها النووية من احتياجات، بدءاً من اليورانيوم المخصب.. وليس انتهاءً بالتكنولوجيا المتطورة.

لم يتوقف العالم عند هذا الانتشار الواسع للصواريخ الباليستية الأخذة في التمدد على مستوى المعمورة من نوع «حتف» و «شاهين» وسلالتيهما المتطورة في باكستان، كما غض الطرف عن الصاروخ الباليستي الإسرائيلي القادر على حمل شحنة نووية «يريو»، بتدرجاته (٣،٢،١)، وهي تعني مسافة أطول وقدرة على حمل شحنات أثقل والصاروخ «يريو»، هذا قادر على الوصول إلى أية عاصمة عربية من المحيط إلى الخليج مضافاً إليها طهران وإسلام آباد.. وتبجح أحد قادة إسرائيل في زلة لسان محمولة على عقلية الغطرسة أن: «موسكو لن تكون في منأى عن الذراع الإسرائيلية الطويلة».

وإذا كانت الإدارة الأمريكية قد خططت، قبل احتلال العراق، أن تتحرك لتفكيك وتدمير «مثلث الشر» المكون من: «العراق، وكوريا الشمالية، وإيران».. حسب التصنيف الأمريكي.. فإن ما واجهته في العراق بعد الاحتلال قد شكل لها صدمة وأعاق خططها.. ولعل هذه الصدمة هي التي أتاحت لكل من بيونغ يانغ وطهران فرصة الإصرار على المضي قدماً في تنفيذ خططهما وبرامجهما التسليحية المتطورة.

وفي اللحظة الحاسمة التي كانت الإدارة الأمريكية وحلفاؤها ينتظرون الرد الإيراني على «حزمة الحوافز» المعروضة على طهران، فاجأت بيونغ يانغ الجميع بإقدامها على إجراء التجارب الصاروخية ذات «المدى المتعددة».. بيد أن ثمة من يتساءل إن كان الموقف الروسي والصيني ذاته يشجع طهران على مواصلة

سياستها الصلبة حيال ملفها النووي.. اقتداء بما حققته كوريا الشمالية في ظل الموقف الصيني الروسي. ويستند بعضهم في الوصول إلى هذا الاستنتاج إلى أن كلاً من موسكو وبيكين لا ترغبان رؤية القوات الأمريكية متمركزة على حدودهما، سواء في شبه الجزيرة الكورية أو في إيران.. وإن كان المراقبون لا يرون وجود محور ومعسكر جديد يضم روسيا والصين ودولاً أخرى ممانعة، أو رافضة للأحادية القطبية، بيد أن هناك من يرى أن ما يجري في حقيقة الأمر هو إرهابات ومقدمات عملية لتشكل «قوة مواجهة دولية»، تحقق شيئاً من التوازن الدولي في ضوء طفيان لغة المصالح من ناحية، ولجوء الإدارة الأمريكية إلى سياسة غطرسة القوة من ناحية أخرى.

بيونغ يانغ وطهران.. الانطلاق!

يبدو أن الولايات المتحدة التي ابتدعت لنفسها حق زعامة العالم ووصلت إلى ما وصلت إليه من الهيبة المتميزة ينطبق عليها المثل القائل: «على نفسها جنت براقش».. فيبعد أن اكتسحت العالم على إثر انتهاء الحرب الباردة وانتهاء الاتحاد السوفيتي، وما تحقق لها من انتصار منحها حق كتابة الأولويات على الصفحة التي تريد، وخولها بالنزول في البر التي ترغب، ومن ثم السيطرة على أوروبا وإيهاها بأنها هي المحافظ الوحيد على حضارتها، وأنها هي الحارس والحامي لها، قد نزععت هيبتها بنفسها حينما قامرت برصيداها السياسي والاقتصادي



الهدف - آب (أغسطس) - ٢٠٠٦ - العدد (١٣٨٠)

منهما قادرتين على اتخاذ خطوات عسكرية قد تؤدي الوجود الأمريكي في الشرق الأوسط، وتضر بالمدن الأمريكية التي تقع في مرمى الصواريخ الكورية.

إن الولايات المتحدة التي كونت لها هيبة ترتعد منها فرائص الآخرين، والتي لم يكن لها في يوم من الأيام جار قوي يهدد حدودها، ولم تضطر في مرحلة من المراحل إلى المواجهة العسكرية، أو التعامل مع أية مشاكل تتعلق بالمسألة الأمنية التي تواجهها بقية الدول الأخرى، قد سقطت هيبتها وقد تتعرض هذه المرة لما هو أصعب مما تعرضت له في الحادي عشر من أيلول ٢٠٠١. ولكن من دول هي من استعدتها على نفسها عندما صنفها بداية بـ «دول الشر»، واتهمتها تالياً بأنها «تهدد العالم» بأجمعه، ثم قامت بالخطوة الكارثية التي ارتدت عليها، حينما احتلت الدولة الأولى في هذا التصنيف، وهي العراق، مما أعطى المبرر الطبيعي للدولتين إيران وكوريا الشمالية لامتلاك سلاح الردع المتطور وتعزيز قدراتهما العسكرية ضمن مبدأ «الدفاع المشروع عن النفس»، مما جعلها تقوم ولأول مرة وعلى غير عاداتها، وعلى لسان رئيسها بوش بالطلب والتوسل والاستجداء من المجتمع الدولي للضغط دبلوماسياً على إيران وكوريا من أجل إيقاف ما تقومون به من تخصيص لليورانيوم وتطوير أسلحتهما الدفاعية والهجومية الحاملة للرووس النووية.

روسيا التي انتقدت ظاهرياً الخطوة الكورية ووصفتها بـ «الاستفزازية»، وربما تجاملها في ذلك أيضاً الصين.. وكلتا الدولتان تفران وتصفان الولايات المتحدة بـ «دولة الهيمنة القاهرة التي ينبغي تحجيمها»، وأن هذه هي الفرصة المتاحة لهما للجم هذا التهور العسكري الأمريكي الذي خلق في هذا العالم حالة من حالات التسابق على التسليح، وصدام الحضارات.

لقد ارتخت القبضة الأمريكية الفولاذية لأنها أرادت وسعت لأن تقبض على أكثر من جمر متقد في آن واحد، سواء في العراق، أو أفغانستان، أو كوريا، أو إيران، عدا عما يحدث في الحديقة الخلفية للولايات المتحدة، أي في أمريكا اللاتينية، مما يؤكد أن إدارة المحافظين الجدد لم توجع فقط المشاعر المعادية لسياسات الولايات المتحدة، بل كذلك كل عوامل التحدي لهذه الإدارة المستبدة والمستندة إلى استعلاء مريع بسبب الأحادية القطبية.



والعسكري، واجتاحت قواتها أفغانستان ثم اتبعها بالعراق التي صنفت إلى جانب كوريا الشمالية وإيران ضمن «محور الشر»، مما جعل من الطبيعي أن تقوم تلك الدولتان بإعداد نفسيهما لمواجهة هذا التصنيف الأمريكي بعد احتلال العراق مباشرة، لتعلن كوريا أولاً أنها «دولة نووية»، ثم تتبعها بتطوير صواريخ «تايبو دونغ ٢» القادرة على الوصول إلى لوس أنجلوس وسان فرانسيسكو في الولايات المتحدة، ولتنضم إليها العضو الثالث في قائمة «محور الشر» إيران التي نجحت أيضاً في تخصيص اليورانيوم، مما أربك الإدارة الأمريكية وقلب عجزيتها عن المتعالية رأساً على عقب.. لتبدأ بالحديث عن الحل الدبلوماسي معهما، وكأنها دولة من دول العالم الثالث.

المعضلة التي تواجه الإدارة الأمريكية الآن هي معرفتها بأن كوريا الشمالية وإيران تمتلكان إمكانية خلط الأوراق دولياً، وأن أية سياسة غير محسوبة تجاه بيونغ يانغ أو طهران ستزيد الطين بلة وستزيد الدولتين عناداً، وستجعل



الحرية لأبطال كوبا المعتقلين في الولايات المتحدة

انتهاكات ارتكبتها الولايات المتحدة الأمريكية

- على إثر اعتقال الشبان الخمسة، تم احتجازهم لمدة ١٧ شهراً في السجن الإنفرادي، كما لم يسمح لهم طيلة هذه الفترة بحام للدفاع عنهم.

- أعلن فريق العمل حول الاعتقالات التعسفية التابعة للجنة حقوق الإنسان في الأمم المتحدة أن اعتقال الشبان الخمسة يعتبر غير قانوني ويشكل انتهاكاً للقانون الدولي.

- إن إجراء المحاكمة في ميامي، حيث تتمركز المنظمات الإرهابية المعادية لكوبا في الولايات المتحدة، منعها من أن تكون محاكمة حيادية وغير منحازة، وذلك بفعل المناخ العدائي الذي أوجدته تلك المنظمات من خلال حملاتها الإعلامية والدعائية التشويهية المكثفة بغية التأثير سواء على الرأي العام في ميامي، أو على أعضاء المحكمة بالذات.

- إن حكومة الولايات المتحدة، بعدم سماحها إجراء محاكمة حيادية وغير منحازة تكون قد انتهكت التعديل الخامس لدستور الولايات المتحدة الأمريكية والذي ينص على: «... لن تحتجز حرية أحد بدون محاكمة قانونية، وكذلك التعديل السادس الذي ينص: «... في أية قضية جنائية، يتمتع المتهم بحقه بمحاكمة سريعة وعلنية من قبل محكمة حيادية».

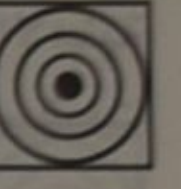
- تقوم حكومة الولايات المتحدة الأمريكية بعرقلة زيارات أهالي المعتقلين لأبنائهم، وخاصة بالنسبة لهيراردو هرناندز، الذي لم يسمح له ببقاء زوجته منذ أن تم اعتقاله عام ١٩٩٩، وينتسب الطريقة تقوم أيضاً بعرقلة زيارات محامي الدفاع عنهم والمسؤولين القنصليين الكوبيين المقيمين في الولايات المتحدة.

ماذا حكم عليهم؟

لأنه منذ انتصار الثورة الكوبية في الأول من كانون الثاني ١٩٥٩، بدأت الولايات المتحدة سياستها العدوانية والإرهابية ضد كوبا. ولذلك فإن عمليات المنظمات المعادية للثورة

خمس شبان محترفين قرروا تكريس حياتهم، بعيداً عن وطنهم، للنضال ضد الإرهاب في مدينة ميامي،

حيث المركز الرئيسي للاعتداءات على كوبا



هيراردو هرناندز

(مواليد هافانا عام ١٩٦٥)، تخرج من المعهد العالي للعلاقات الدولية وهو فنان كاريكاتوري، صدر بحقه حكمان مؤبدان بالسجن وحكم ثالث بخمسة عشر عاماً.

ريتيه غونزالس

(مواليد شيكاغو عام ١٩٥٦) متزوج وله ابنتان، طيار وأستاذ في تعليم قيادة الطائرات، محكوم بالسجن لمدة خمسة عشر عاماً.

رامون لايبانينو

(مواليد هافانا عام ١٩٦٣)، متزوج وله ٣ بنات، مجاز بالاقتصاد من جامعة هافانا. محكوم عليه بالسجن لمدة ١٨ عاماً.

فرناندو غونزالس

(مواليد هافانا عام ١٩٦٣)، متزوج، خريج المعهد العالي للعلاقات الدولية التابع لوزارة الخارجية الكوبية. محكوم بالسجن لمدة تسعة عشر عاماً.

انطونيو غيريرو

(مواليد ميامي عام ١٩٥٨)، مهندس في حقل المطارات، شاعر، له ولدان. محكوم بالسجن المؤبد ويعشر سنوات إضافية.

من أجل أن تسود الحقيقة والعدالة

إن أهالي المناضلين الخمسة ضد الإرهاب، ومعهم ملايين الأشخاص الشرقاء المطلعين على قضيتهم يعانون بشدة، جميعنا نطالب بمحاكمة عادلة في مكان آخر غير ميامي. انضموا إلينا في كفاحنا من أجل العدالة وضد الإرهاب. سوف يعودون

والممولة من قبل الاستخبارات المركزية الأمريكية تنطلق من ميامي، وأكثرها عدوانية هي المؤسسة الوطنية الكوبية. الأمريكية، المجلس من أجل حرية كوبا، الأخوة للإنقاذ، الحركة الديمقراطية، ألفا - ٦٦ وغيرها.

الرحالة الراهنة لسير المحاكمة

قررت محكمة الاستئناف. الدائرة ١١ في أتلانتا، والمؤلفة من كبار القضاة الذي لا صلة لهم بكوبا، قررت وبشكل خارج عن المألوف، إبطال المحاكمة التي أجريت في ميامي منذ كانون الثاني عام ٢٠٠٠ وحتى حزيران عام ٢٠٠١، وذلك بالأدلة والبراهين التي تكونت من ٩٣ صفحة، فاعتبر القضاة المذكورون جميع الأحكام لاغية بالاستناد إلى ما يلي:

(١) على المحكمة أن تعزل عن الجالية التي أجهدهتها بمشاعر العداة تجاه المتهمين.. وعلى المحكمة أن تدرس مختلف الطرق الممكنة والمؤدية لأن تكون المحاكمة حيادية وغير منحازة، وتتضمن تلك الطرق: تغيير المكان عندما تنغمس الجالية بشكل واسع ومتكرر في حملات دعاية مؤذية.

(٢) كان من الواضح جداً الإدراك بأن تلك المجموعات الكوبية في المنفى والمستمرة في نشاطها في مدينة ميامي، قد تتعرض بالضرب لأعضاء المحكمة في حال صدر عنهم قرارات مناقضة لأرائهم.

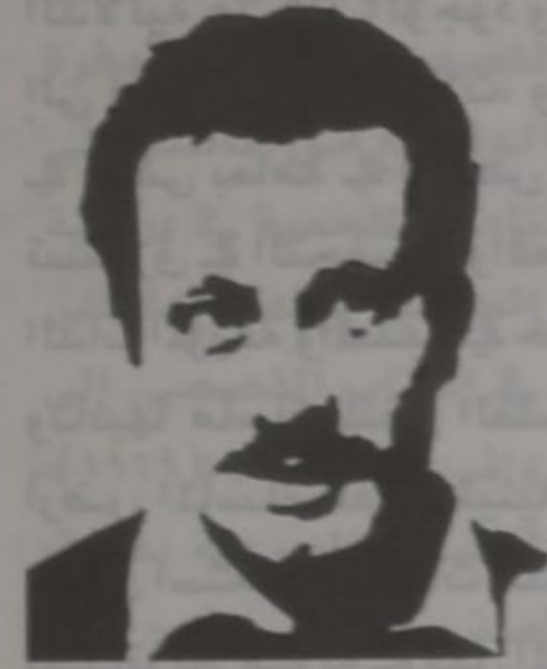
(٣) لا يمكن للمدعي العام أن تصدر عنه طروحات غير مناسبة، إحصاءات غير مباشرة، أو اقتراحات من شأنها تحفيز الأحكام المسبقة وعواطف المحكمة. فواجبه ينص أيضاً على عدم استعمال أساليب غير لائقة بهدف التسبب باتخاذ قرار خاطئ.

(٤) في هذه الحالة فإن مسألة إعادة المحاكمة من جديد تفرض نفسها، وذلك بسبب العاصفة التي تسبب بها شعور الجالية هناك، والحملة الدعائية الواسعة قبل وخلال سير المحاكمة، بالإضافة إلى الإشارات غير المناسبة في إطار المحاكمة.

(٥) انطلاقاً من قرار المحكمة المذكور، وبعد أن تقدمت حكومة الولايات المتحدة بطلب غير مألوف بإعادة النظر بالتقرير المقدم من هذه المحكمة، عقدت بتاريخ ١٣ شباط جلسة محاكمة حيث قدم الادعاء والدفاع مرافعتيهما وأظهرا أدلتهما وبراهينهما أمام جميع القضاة أعضاء الدائرة الحادية عشر لمحكمة الاستئناف. والأمر يجب انتظار القرار الذي سيتخذه القضاة حيث أن المهلة الزمنية لإعلانه غير محددة.

صرخة غسان كنفاني

تتجدد!



لطالما تحوّل التساؤل الصارخ الذي أطلقه غسان كنفاني في روايته: «رجال في الشمس»، لماذا لم تدقوا جدران الخزان؟، إلى سؤال

رمزي ووجودي في الأدبيات السياسية والفكرية العربية، وحُمل دلالات كثيرة لم تنفك عن تحليل أبعاد تلك الصرخة بالسؤال: ترى هل كانت ستتغير المعادلة لو قرعوا جدران الخزان؟

ذهب البعض إلى القول: هم في الحقيقة دقوا جدران الخزان، لكن العرب العارية كانوا غارقين في سبات تخلفهم وعجزهم، وذهب البعض الآخر إلى القول: إنهم لن يستيقظوا حتى ولو أضمت أصوات القرع أذانهم!

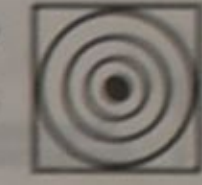
تمضي السنون، وتعمق آثار الجراح مع تكرار الماسي، والتجارب المريرة التي خلقت شلالات الدماء في فلسطين والعراق ولبنان، حيث استبيح الإنسان العربي في دمه، وماله، وعرضه، وأرضه، وشجره أمام آلة القتل والتدمير الوحشية الصهيونية والأمريكية التي انفلتت من عقابها دون أي رادع، وفيما كانت أصوات القرع تتعالى على جدران الصمت العربي والدولي الكتيم، استمر أصحاب الشأن لعبة سد الأذان، وإغماض العيون، بل تبين أن النظام العربي الرسمي متورط بالتواطؤ مع الجلاد ضد الضحية، بل أكثر من ذلك بات يشجع الجلاد على أن يوغل أكثر في التمثيل بجسد الضحية، والا كيف لنا أن نفسر هذا الصمت المريب تجاه ما يجري من مجازر رهيبية في لبنان وغزة والمدن الفلسطينية؟

حينما تجرأ مئات الفلسطينيين العالقين على الحدود المصرية مع غزة.... وأحدثوا ثغرة في جدار المعبر المغلق بأوامر إسرائيلية، ليمر من خلالها الأطفال والنساء والشيوخ والمرضى الذين قضى بعضهم في العراء وهو ينتظر الفرج، ذكرت هذه العملية أحد الكتاب بالشهيد غسان كنفاني الذي تمر ذكراه هذه الأيام، معتبراً العملية بمثابة قرع جديد على جدران الخزان، واجهتها طائرات العدو برشقات النيران من رشاشاتها التي لاحقت العابرين لتحصد أرواحهم فيما الصمت العربي الرسمي سيد الموقف.

مع عمليتي «الوهم المتبدد»... والوعد الصادق، يبدو أن الضحية تحاول أن تسطر معنى جديداً لثقافة المقاومة، لأنها تعلمت من تجاربها المريرة أنه لا يكفي قرع جدران الخزان، بل لا بد من تدميره، وفتح فجواته الكريمة للتحرر من ظلماته، والانطلاق نحو أفق جديد، فهل سينفتح هذا الأفق أمامها، أم ستغلقه رمال الصحراء العربية، وشمسها اللاهبة؟

قصة المقاومة عند غسان كنفاني

د. عبد الله أبو هيف

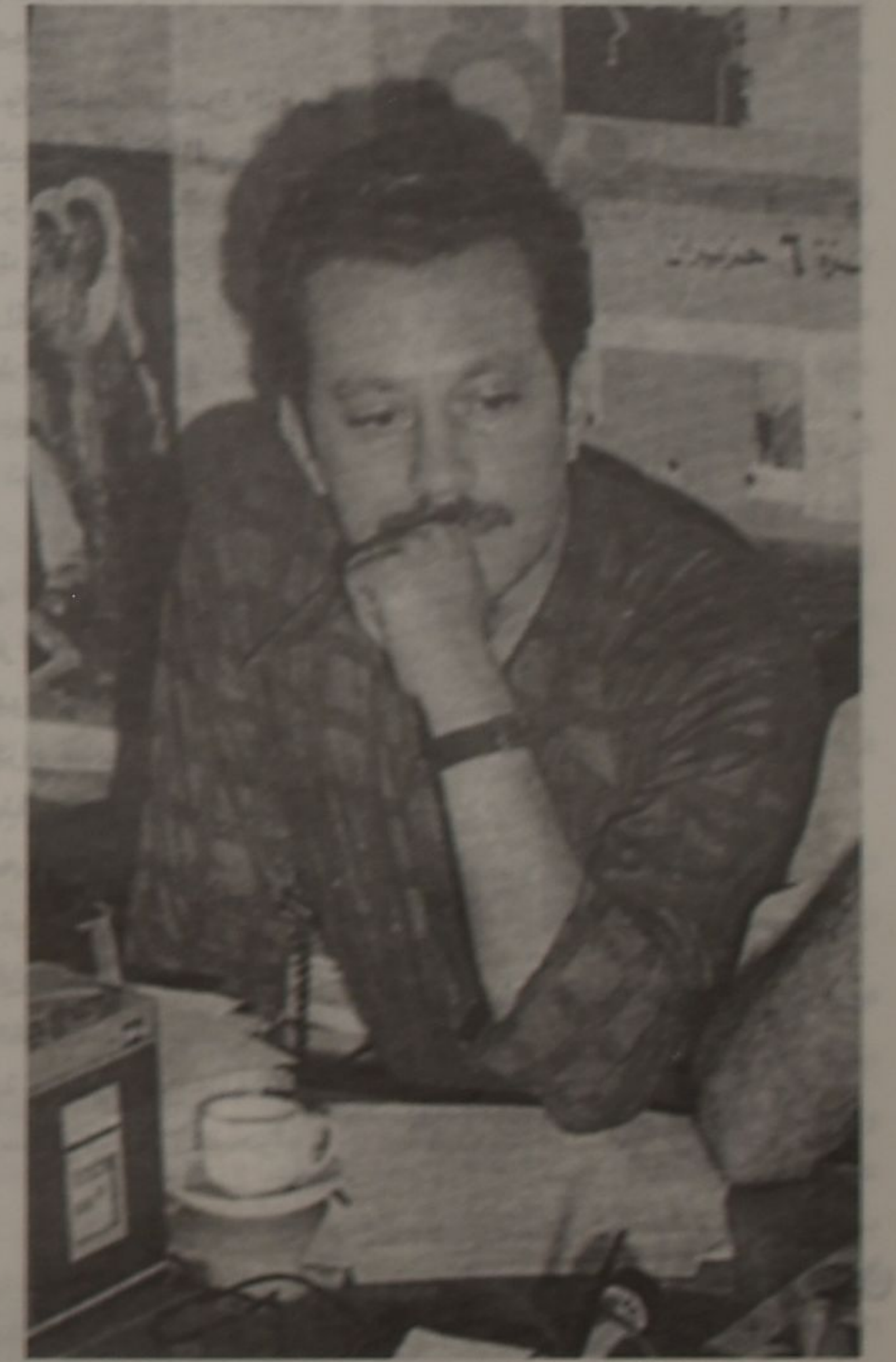


المتيزة:

وأوجز القول حول مزايا أدب المقاومة في قصصه المتميزة:

١- أسس كنفاني لقصة المقاومة وطورها، فصار هناك قصة مقاومة فلسطينية، وهذه مائرتة قاصاً ينهض بالقيم الوطنية والقومية ضمن تشابكاتها التاريخية وتعالقاتها الدلالية عن قلق الوجود والدفاع عن المصير الفلسطيني، وأشير إلى أبرز هذه الدلالات، وأولها التعبير عن معاناة الفلسطيني في المنفى بعامه في قصص مجموعته «موت سرير رقم ١٢» التي تستغرق في التحفيز الواقعي وثرأ الخطاب القصصي حواراً مع الذات المؤرقة والمعذبة في خضم المشكلات الاجتماعية والسياسية، وثانيها مأساة المنفى الفلسطيني حيناً وعذاباً لدى استحضار أرض المأساة الفلسطينية ببعديها الوجودي والتاريخي من خلال استخدام تقانات التمثيل النقالي وتحليل الوجود والتاريخ نشداناً للأمتولة في فعل المقاومة، وهذا واضح في غالبية القصص

مجموعته «عالم ليس لنا» وتصحح الأمتولة عن سيل الخلاص عن المأساة بالمقاومة، وتكاد تستغرق القصص في الترميز من العتبات السردية كعنوانات القصص إلى منتهى ورؤاها العميقة، فأبانت قصة «جدران من الحديد» وجع الاحتضار عند التماثل مع طير صغير سرعان ما كُف عن الطيران (ص ٤٢١)، وتماثل الوصف الفلسطيني مع الصقور التي لا يهملها أين تموت، في قصة «الصقور»، وهذه هي الغزالات تحب أن تموت عند أهلها، (ص ٤٣٦). ووجد الراوي في قصة «عشرة أمتار فقط» أن ما يجري من وقائع مروعة «لن يصلح للعالم فقط» (ص ٤٦٧)، وأظهرت قصة «علبة زجاج واحدة» سجن حياة الفلسطيني بالترميز: «نحن نتحرك داخلها، ولكننا لا نغادر.. نحن ننتقل من طابق إلى آخر، ولكننا لا نغادر..» (ص ٤٩٤)، وتداخل الرمز مع الماء في محاولة الخلاص في قصة «الشاطيء»، فقد «كانت اليقظة الجافة تقع على بعد ذراع واحد فقط، ورغم تلك فقد كانت تبدو بعيدة جداً بالنسبة للقطعة البيضاء التي كانت تقاوم الفرق بصخب وجنون، فيما بدأت الأجواء



تقصف بالرعده، (ص ٥٤٥).

٢- طوع كنفاني من القصص بخصائصه العصبية على التاريخ لحاجات قصة المقاومة، من خلال تلازم المبنى الرمزي والمبنى الواقعي، والعناية بالخصوصيات البيئية والمحلية، والتوازن الفني بين الموضوع والتعبير القيمي، وتتميز التواصل بين الفنون والأشكال السردية، والإيماء إلى الإحالات الثقافية الكلامية وعباً بالتاريخ، فقد سمى مجموعته «أرض البرتقال الحزين» ترميزاً لفلسطين، وأفصحت العنوانات عن هذه المدلولات أيضاً، إضاءة لتجارب المقاومة نحو الأمان والسلام.

وتكامل الترميز في المبنى الرمزي والمبنى الواقعي عند التماثل بين فلسطين وأرض البرتقال الحزين: «أريت في الوقت ذاته المسدس الأسود على الطاولة الواطئة.. والى جواره برتقالة.. وكانت البرتقالة جافة يابسة، (ص ٣٧٥).

وبينت مجموعته القصصية «عن الرجال والبنادق» على تقانة الاتصال بين الفنون والأشكال السردية بما يجعل منها كتاباً قصصياً يستند إلى مفهوم اللوحة، إذ تشكل الكتاب القصصي من تسع لوحات رسم فيها باقتدار «الأفق الذي أشرف فيه الرجال والبنادق معاً» في مواجهة الاحتلال، وحوث إلى لوحة مشاهد من الصراعات وتصليب الذات الفلسطينية، وألحت العنوانات نفسها إلى مدلولات الخطاب السردية مثل «الصغير يستعير مرتبة خاله ويشرق إلى صدف» و«الدكتور قاسم يتحدث لإيفا عن منصور الذي وصل إلى صدف».

وتعاضد الاتصال بين الفنون والأشكال السردية مع فقرة الإحالات الثقافية والكلامية لتعميق الوعي

بالتاريخ مثل الملاحظة الأخيرة في المجموعة: «قول أم سعد» خيمة عن خيمة.. تفرق»، وهو المثل الشعبي الدال إلى كنه المواقف المختلفة وتشكلها للصراعات وللدفاع عن الوطن بالفداء، واعتمد الاتصال إياه على التناص، لتعزيز أفعال المقاومة والبطولة بالتجارب البشرية العريضة والراهنة في التاريخ. وقد أشار في المدخل إلى قول صيني عاش قبل الميلاد بعدة مئات من السنين: «عن أن الحرب حيلة»، و«سطوة المعنويات»، و«أن الانتصار هو أن تتوقع كل شيء»، وألا تجعل عدوك يتوقع..» (ص ٦١٥)، وربط التناص بالوقائع التاريخية كالملاحه إلى بعض وقائع عام ١٩٤٩ المعبرة عن حلم الحرية بالوعي وتصليب الذات الفلسطينية.

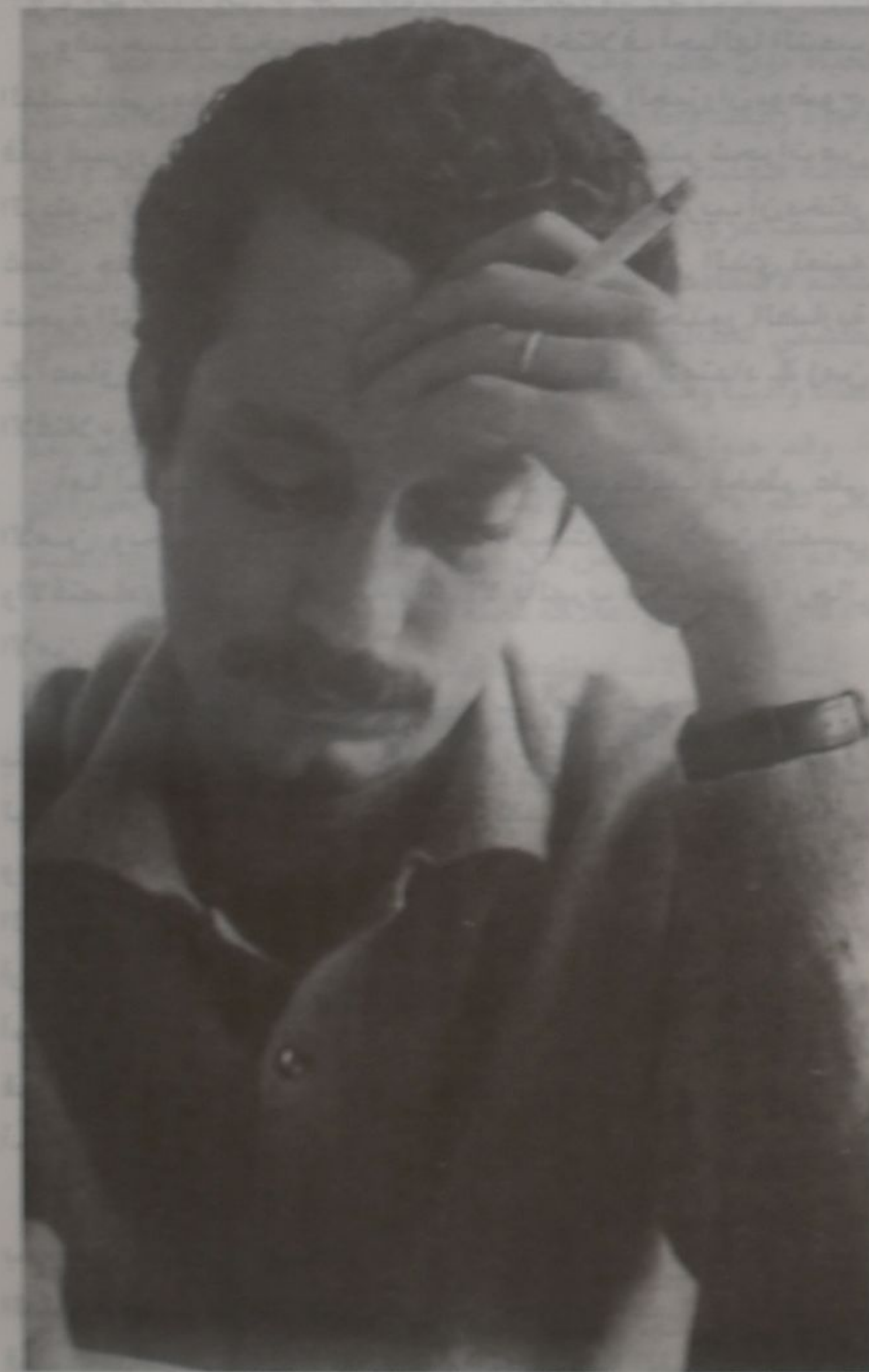
٣- الاستجابة للذات الفلسطينية وتطور أوضاع الفلسطينيين، حتى أن بعض القصص أقرب إلى قراءة استشراقية أو استباقية أو تعليق على ما يحدث أو ما حدث، قصة «قرار موجز» على سبيل المثال (المكتوبة في ١٩٥٨/٧/٢١)، والمنشورة في دورية عربية، ولم توضع في إحدى مجموعاته القصصية، إلى أن جمعتها لجنة تخليد غسان كنفاني في المجلد الثاني من آثاره الكاملة، ناهيك عن النظر الرئيس إلى المجموعات الأربع، فالقصص شهادة عن حال الفلسطيني في زمنه وعذباته المؤرقة وعزيمته على مواجهة البطولة والفداء والشهادة.

٤- القصص القصيرة أسلوب تعبير في مشروع كنفاني عن إيجاز ثقافة مقاومة، يتكامل مع أساليب التعبير الأخرى في الرواية والمسرح والبحث والنقد والدراسة، فقد درس الأخر وأديه في كتابه «الأدب الصهيوني» (١٩٦٧)، ودرس الذات وأديها في الداخل في كتابه «الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال» (١٩٦٨)، وحلل أوضاع فلسطين والمقاومة ومعضلاتها الداخلية والخارجية في كتابه «أدب المقاومة في فلسطين المحتلة» (١٩٦٦).

٥- عني كنفاني بالنزوع اللحمي الشعبي في قصصه اللاحقة، ومثالها



مجموعته «عن الرجال والبنادق» التي يتلاقى فيها استحضار الماضي مع الواقع الفعلي، وتضارب شعرية رؤى الحماسة البطولية، حدود الأسطورة والأمتولة عند التوكيد على الحقائق، وثمة اعتماد على الدرامية في البنية القصصية للمحمية بوفرة الحوارية وأخبارها عن الأحداث والوقائع من الماضي إلى الحاضر والاستشراقات المستقبلية. وتنامت للمحمية في درامية اللوحة الشهيدة نحو أبنائنا الذاكرة الجمعية وانطباقها على الذاكرة الفردية، وتطورت الدرامية في الكتاب القصصي إلى رحابة المنظور السردية في النص الروائي «أم سعد» (١٩٦٩)، وتمثلت المأثورات وسيرورة التقاليد في البنية السردية بعامه، وفي قصص «عن الرجال والبنادق» بخاصة.



٦- مراعاة حاجات الإيصال وحاجات التلقي في أفعال المقاومة، بتوظيف الحوافز (الوحدات القصصية) في المنظور القصصي لدى اندغام الدلالية في التداولية لاحتضان المقاصد والأغراض في مكابدة تجارب العيش المقهور، وتجلي ذلك في العناية بالسرد ولا سيما توازن الوصف مع الحوارية، وبالمحاكاة، فعلاً ومكاناً وزماناً لتشكيل الفضاء القصصي الشامل للعدوان الداخلي والخارجي على القضية الفلسطينية وشعبها تحت الاحتلال، أو في المنفى والشتات.

٧- اثبات الذات من الموضوعي، إذ تتحدث القصص عن الفلسطيني ووضعه وعذباته وأشواقه إلى الحرية والتحقق الذاتي الحر والمستقل. يتبدى ذلك في نيد الوصف الشخصي والذاتي لذاته الخاصة، بل يتماهى الخاص مع العام بالتمثيل والمجازية نحو الأمتولة في إدغام الذات الخاصة بالذات العامة على أنه الفلسطيني المحتل المدافع عن حريته وكرامته، فلا نقرأ قصة عن تجربة شخصية أو ذاتية بعيدة عن عذاب الفلسطيني وتمثله أو تمثله.

٨- حرص كنفاني على بلاغة السرد على الرغم من اهتمامه المطلق بإبلاغية الموضوع القومي الفلسطيني، وبدت هذه البلاغة في التخيل المستند إلى الوقائع، وفي اقتصاد الحوافز والعناية بالتحفيز الواقعي بالدرجة الأولى، كما أشرنا، ولجأ كنفاني إلى اللغة المجازية في صلب هذا التحفيز، وإن جنح به التخيل إلى معنى رمزي أحياناً، وتوثر قصص «رأس الأسد الحجري» و«عطش الأفغن» و«كفر المنجم» إلى هذه المجازية اللغوية وتجنح التخيل على سبيل التمكن من التلقي والتأويل، وبما يتفح في اندغام القصص في أطروحاتها الفكرية والفنية عن المقاومة في تحولاتها السياسية والاجتماعية والحضارية، لتلا يسمح للتجريب لذاته، أو لشهوة التعبير السياسي وحده، لأننا نقرأ في قصة كنفاني إرادة المقاومة وأفعالها في أحوال الفلسطينيين بخاصة، والعرب بعامه تحت وطأة الصهيونية والتصهي.

الروابط الفلسطينية

في أعمال غسان كنفاني الروائية

د. حسن عليان / جامعة فيلادلفيا

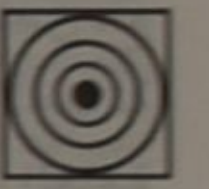
تهدف هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على مجموعة الروابط الفلسطينية في أعمال غسان كنفاني الروائية، وهو الذي نذر نفسه لتضيقته في مختلف مناحيها واتجاهاتها ورؤاها، فكان الصحفي، والناقد، والقصاص، والحزبي، والرسام، والمسرحي. لقد كان غسان مسكوناً بحب الوطن والقضية والعروبة، وكان فكره خلاصة هذا الحب. لقد وعى غسان ماذا تعني إسرائيل، وماذا تريد من المنطقة العربية والدولية، فهي تقف في وجه العقل التاريخي، وتحاول أن تغير مساره الفكري وحركته الطبيعية الدائبة نحو المستقبل، وتريد وفق رؤية غسان أن تقيم دولة «عنصرية ودينية». هذا أساس رجعي محكوم عليه بالفشل التاريخي، هذا بالطبع كلام مجرد، حتى يصبح هذا الكلام بحدود الإمكان، عندما تصبح قوة تقدمية تاريخية..

بشعارة أعمال غسان كنفاني الروائية: «رجال في الشمس»، «ما تبقى لكم»، «عائد إلى حيفا»، و«أم سعد»، يتبين لنا خط غسان الاستراتيجي الواضح في

رصد حركة الإنسان الفلسطيني بعد عام ١٩٤٨م، بدءاً بالبحث عن الأمن النفسي والاقتصادي والاستقرار، ومروراً بالبحث عن الهوية المستلبة، أو الضائعة، وعن الوضع الضائع، وانتهاءً بالثورة الفلسطينية المسلحة. ثورة الجماهير - إن جاز لنا التعبير - في فكر غسان كنفاني.

كانت روابط الفلسطيني بعد عام ١٩٤٨م مفككة، وهذا بديهي، ولا يصعب رؤية ذلك بوضوح في روايته «رجال في الشمس»، فإنسان الهزيمة في حالة ذهول، لم يكن يصدق ما يحدث له، وعندما بدأ يستعيد وعيه، ويدرك هول الصدمة والفاجعة بدأ البحث عن الأمن، ولقمة العيش والاستقرار إن تيسر له ذلك.

كان غسان كنفاني حاضر البديهي، واعياً لأساسة الفلسطيني ووضعته الجديد بعد هزيمة عام ١٩٤٨م. لذا تحرك غسان في ظل إطارين: الإطار الزماني، والإطار المكاني. وتستطيع أن تدرك بسهولة أن الإطار الزمني في روايته «رجال في



الشمس»، و«أم سعد»، يتبين لنا خط غسان الاستراتيجي الواضح في رصد حركة الإنسان الفلسطيني بعد عام ١٩٤٨م، بدءاً بالبحث عن الأمن النفسي والاقتصادي والاستقرار، ومروراً بالبحث عن الهوية المستلبة، أو الضائعة، وعن الوضع الضائع، وانتهاءً بالثورة الفلسطينية المسلحة. ثورة الجماهير - إن جاز لنا التعبير - في فكر غسان كنفاني.

كان غسان كنفاني حاضر البديهي، واعياً لأساسة الفلسطيني ووضعته الجديد بعد هزيمة عام ١٩٤٨م. لذا تحرك غسان في ظل إطارين: الإطار الزماني، والإطار المكاني. وتستطيع أن تدرك بسهولة أن الإطار الزمني في روايته «رجال في

الشمس»، و«أم سعد»، يتبين لنا خط غسان الاستراتيجي الواضح في رصد حركة الإنسان الفلسطيني بعد عام ١٩٤٨م، بدءاً بالبحث عن الأمن النفسي والاقتصادي والاستقرار، ومروراً بالبحث عن الهوية المستلبة، أو الضائعة، وعن الوضع الضائع، وانتهاءً بالثورة الفلسطينية المسلحة. ثورة الجماهير - إن جاز لنا التعبير - في فكر غسان كنفاني.

تهدف هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على مجموعة الروابط الفلسطينية في أعمال غسان كنفاني الروائية، وهو الذي نذر نفسه لتضيقته في مختلف مناحيها واتجاهاتها ورؤاها، فكان الصحفي، والناقد، والقصاص، والحزبي، والرسام، والمسرحي. لقد كان غسان مسكوناً بحب الوطن والقضية والعروبة، وكان فكره خلاصة هذا الحب. لقد وعى غسان ماذا تعني إسرائيل، وماذا تريد من المنطقة العربية والدولية، فهي تقف في وجه العقل التاريخي، وتحاول أن تغير مساره الفكري وحركته الطبيعية الدائبة نحو المستقبل، وتريد وفق رؤية غسان أن تقيم دولة «عنصرية ودينية». هذا أساس رجعي محكوم عليه بالفشل التاريخي، هذا بالطبع كلام مجرد، حتى يصبح هذا الكلام بحدود الإمكان، عندما تصبح قوة تقدمية تاريخية..

بشعارة أعمال غسان كنفاني الروائية: «رجال في الشمس»، «ما تبقى لكم»، «عائد إلى حيفا»، و«أم سعد»، يتبين لنا خط غسان الاستراتيجي الواضح في

رصد حركة الإنسان الفلسطيني بعد عام ١٩٤٨م، بدءاً بالبحث عن الأمن النفسي والاقتصادي والاستقرار، ومروراً بالبحث عن الهوية المستلبة، أو الضائعة، وعن الوضع الضائع، وانتهاءً بالثورة الفلسطينية المسلحة. ثورة الجماهير - إن جاز لنا التعبير - في فكر غسان كنفاني.

كانت روابط الفلسطيني بعد عام ١٩٤٨م مفككة، وهذا بديهي، ولا يصعب رؤية ذلك بوضوح في روايته «رجال في الشمس»، فإنسان الهزيمة في حالة ذهول، لم يكن يصدق ما يحدث له، وعندما بدأ يستعيد وعيه، ويدرك هول الصدمة والفاجعة بدأ البحث عن الأمن، ولقمة العيش والاستقرار إن تيسر له ذلك.

كان غسان كنفاني حاضر البديهي، واعياً لأساسة الفلسطيني ووضعته الجديد بعد هزيمة عام ١٩٤٨م. لذا تحرك غسان في ظل إطارين: الإطار الزماني، والإطار المكاني. وتستطيع أن تدرك بسهولة أن الإطار الزمني في روايته «رجال في

الشمس»، و«أم سعد»، يتبين لنا خط غسان الاستراتيجي الواضح في رصد حركة الإنسان الفلسطيني بعد عام ١٩٤٨م، بدءاً بالبحث عن الأمن النفسي والاقتصادي والاستقرار، ومروراً بالبحث عن الهوية المستلبة، أو الضائعة، وعن الوضع الضائع، وانتهاءً بالثورة الفلسطينية المسلحة. ثورة الجماهير - إن جاز لنا التعبير - في فكر غسان كنفاني.

كان غسان كنفاني حاضر البديهي، واعياً لأساسة الفلسطيني ووضعته الجديد بعد هزيمة عام ١٩٤٨م. لذا تحرك غسان في ظل إطارين: الإطار الزماني، والإطار المكاني. وتستطيع أن تدرك بسهولة أن الإطار الزمني في روايته «رجال في

وبهمومها الإنسانية، ومعاناتها، والوان عذاباتها، كما اعتمد لها الرمز الحي الشفاف الذي يلقي الضوء على واقع الإنسان، إنسان المنفى، والإنسان العربي. فالأجواء العربية على تعدديتها لم تكن ملائمة للتحرك الفعلي والعمل لتغيير وقائع الأمور والحقائق على الأرض. وتوضح الرموز في شخصية أبي الخيزران، القيادة الفلسطينية العتيدة، فأبو الخيزران الذي انفجر فيه لغم أفقده رجولته، يصير على قيادة الإنسان الفلسطيني في المنفى على الرغم من إخفاقه في قيادة دفعة المعركة عام ١٩٤٨م، وفي الصهرج رمز الوطن العربي الكبير الذي لم يقبل فكرة الهزيمة، ولا إنسان المنفى بسهولة في بداية الاحتلال. ولم يكن الوطن العربي بأجوائه النفسية والاجتماعية والاقتصادية مهياً لتقبل أبعاد اللعبة الدولية، ولعل لقلة التعليم، والإعلام الغربي، والإعلام الصهيوني آنذاك دوراً في عدم تقبل إنسان المنفى بسهولة. ولذا فقد واجه إنسان المنفى في بداية رحلته الصعاب على اختلافها، ومن ثم الموت عندما أقيمت الجثث على مزبلة في صحراء الكويت.

ويتبادر سؤال: ما الذي أراده غسان كنفاني من رحلة الموت في «رجال في الشمس»؟ لقد أراد غسان تغيير حركة الفلسطيني، فبدلاً من التوجه شرقاً - الطريق الخطأ للإثبات الهوية والوجود والأمن - عليه التوجه غرباً. على الرغم من وعي غسان أن الإنسان الفلسطيني غير مهياً بداية لهذا التوجه، كما أراد تغيير القيادة الفلسطينية التي يمثلها أبو الخيزران، فغسان يريد قيادة شابة جديدة وأعدة غير غنيمة، قيادة واعية لحركة التاريخ، والتفاعلات المحلية والدولية.

لذا حاول غسان تغيير القيادة في رواية «ما تبقى لكم»؟ فكانت شخصية حامد ابن السبعة عشر ربيعاً، غير مؤهلة، وليست بذات خبرة، وقد قصد غسان انتقاء شخصيته عمداً، فهي مرحلة انتقالية بين قيادتين: إحداها عاجزة، والأخرى فاعلة. وقد فرض غسان على شخصيته الاتجاه شرقاً عن عمد، نحو

الصحراء العربية، لتحقيق الوحدة العربية. فالقضية لن يتحقق لها النصر إلا بالوحدة بين دفتي الأردن: الخطة الأولى نحو الوحدة العربية. لذا انتقل ببطله حامد، بطل رواية «ما تبقى لكم»؟ من غزة إلى الضفة الغربية مروراً بصحراء النقب، ولكن غسان توقف ببطله في صحراء النقب لمواجهة العدو الصهيوني، وليبدأ زمن الفعل، زمن مواجهة العدو بعد مرحلة البحث عن الهوية. فالزمن الخارجي الحقيقي لم يعد يشكل حيزاً في ذهن البطل الروائي، لأن المرحلة هي مرحلة إثبات الذات، وزمن البحث عن الهوية المفقودة، بالمواجهة الحقيقية مع العدو، ولأجل تحقيق هذه الهوية فقد القى حامد بساعته أرضاً لتدق أو لتعزف لحن عن الأمن والاستقرار الاقتصادي والنفسي لم يعد له ما يبرره في فكر حامد بطل الرواية. ولكن هذا الزمن، زمن البحث عن الهوية، كان بحاجة إلى مراجعة الذات، فكانت رواية «عائد إلى حيفا»، مرحلة المراجعة وتقييم الذات، مرحلة التيقن من أن صلة الإنسان بالوطن ليست مجموعة الذكريات والمقتنيات، والأثاث، والريشات السبع التي خلفها إنسان المنفى في الأرض المحتلة، بل هي روابط تاريخية وإنسانية وحضارية لا تقف عند حدود الماضي والحاضر، إنما تتعداه إلى المستقبل والأرض. فالعلاقة بالوطن ليست خاضعة لقانون النسبية، بل هي علاقة ثابتة على الدوام.

ويمكن القول إن شخصيات غسان في روايته «رجال في الشمس»، و«ما تبقى لكم»؟، بينت أن الإنسان لا يمكن أن يعيش في الحياة دون جسر، ومن ثم لا يمكن أن يكون للحياة معنى، إلا بوجود رابط، وإذا فقد الإنسان هذا الجسر، أو الرابط أصبحت حياته مهددة بالموت إذا لم يقيم علاقة جيدة بالحياة. ولذا انفصمت عرى الحياة بين أبطال «رجال في الشمس»، وبين الواقع القائم لافتقادهم الجسر الذي يربطهم، وأصبح الموت هو البديل الطبيعي لحياتهم كما يرى د. إحسان عباس (غسان كنفاني إنساناً وأديباً ومناضلاً - ص ١٦).

وقد حاول حامد أن يخرج على قانون النسبية في رواية «ما تبقى لكم»؟، إلى المستوى الفكري الفلسفي، ولكنه أثبت أخيراً أن علاقة الإنسان بالأرض من وجهة نظره الفلسطينية، وبالنسبة له ولكل فلسطيني، علاقة ثابتة ودائمة.

لقد تحول الإنسان الفلسطيني في رواية «عائد إلى حيفا»، بعد تحوله نحو الأرض الفلسطينية، إلى قضية لأسباب كثيرة أهمها ولده خلدون أو دوف اليهودي بالتبني والتربية، وولده خالد الذي تمنى أن يلتحق بالثورة في أثناء غيابه.

أما المكان في رواية «ما تبقى لكم»؟، فإنه غزة والصحراء الفلسطينية، صحراء النقب. لقد تيقن غسان من خلال بطله حامد أن غزة وحدها لا تكفي للحركة والتحرير، ولذا توجه بحامد نحو الشرق. صحراء النقب. وتجدر الإشارة إلى المفارقة بين نمطين من الصحراء في فكر غسان ورويته، ففي الوقت الذي كانت فيها الصحراء الكويتية أرضاً لا فظة ومدمرة لإنسان المنفى، فإن صحراء النقب احتضنت حامد الصغير ابن السبعة عشر ربيعاً. لقد أحست الصحراء بوقع أقدامه في أحشائها كما شعرت إزاهم بحنو عجيب، لذا لا تفارق الحقيقة إذا قلنا أن غسان أراد أن يحقق المرحلة الثانية من حركة

الفلسطيني في علاقته بالأرض، حيث بدأ زمن الفعل.

أما المكان في رواية «عائد إلى حيفا»، فقد كان بداية حب واشتياق وتوق إلى معرفة ما طرأ من تغيرات على ممتلكات الإنسان الفلسطيني، وكان لهفة ومعاناة، ولكنه تحول إلى رغبة حميمية في العمل المباشر، لتعديل ميزان القوى، ولقلب سياسة الأمر الواقع السياسية والعسكرية. وقد تبلور المكان مرحلة الصراع الحضاري والتاريخي والإنساني والجغرافي والهوية، الخ، بين الدخيل المغتصب وبين ابن الجغرافيا، الإنسان الفلسطيني والعربي، فالجغرافيا عند غسان غير محددة بأطر مكانية، إنها حضارة الإنسان العربي منذ القدم، تلك الحضارة الضاربة جذورها في أعماق الزمن والتاريخ والجغرافيا.

ويمكن القول إن غسان كنفاني أراد من المكان (الجغرافيا) التوعية والتعبئة وخوض المعركة. وهذا ما بينته رواية «أم سعد»، ملحمة الإنسان والشعب الحقيقية.

وتتمثل رواية «عائد إلى حيفا»، بقوة محاكمة الروابط الفلسطينية، والدفاع عن القضية، ففي الوقت الذي عاد فيه إنسان المنفى: سعيد وفارس وغيرهما الكثير إلى حيفا، ليلقي نظرة على بيته، أو ليطلب شربة ماء، أو ليتفقد أثاث منزله. في الوقت نفسه فإن إنسان المعتقل يرى أن عودة إنسان المنفى على هذه الصورة عودة غير طبيعية ولا منطقية، فسعيد العائد إلى حيفا كان يعتقد أن جميع الأبواب يجب أن تفتح من جهة واحدة فقط، وإذا فتحت من الناحية الأخرى فيجب اعتبارها مغلقة.

ويحاكم إنسان المعتقل / الإنسان الذي أشر البقاء في الوطن بعد تكية عام ١٩٤٨م علاقة الفلسطينية خارج الوطن، بوطنه وقضيته، ليبين تفسخ العلاقة بعد أن ترك إنسان المنفى مواجهة القضية، وبالتالي الالتزام بهذه القضية، وهو يرى لماذا احتفظ بصورة أخيه الشهيد بدر. يقول إنسان المعتقل لفارس الذي جاء من خارج



حدود الوطن، «حين جئت إلى البيت كانت الصورة أول شيء شاهدته، وربما كنت قد استأجرت البيت بسببها، ذلك شيء معتاد، فالصورة لدى الإنسان المعتقل التزام ورمز مرحلة تاريخية ونضالية، والاحتفاظ بها وفاء لتاريخ الثورة والنضالية، وهي شاهد على نشأت شعب ورمز بما تبعته على مر الزمن من تحقيق لأجل العودة إلى وحدة الإنسان والأرض، كما تحتل مرحلة زمنية، وذكرى وجد فيها إنسان المعتقل سلوى عن أزمان واقعه وآلامه تحت وطأة الاحتلال، ووجد فيها ريفاً يخاطبه ويتحدث إليه ويذكره بأمر يعتز بها. يقول لغارس شقيق الشهيد بمر: «بلا ذلك الوقت تماماً كما هو الأمر الآن - كما يبدو لي - أن يكون الإنسان مع رفيق له حمل السلاح، ومات في سبيل الوطن شيئاً ثميناً لا يمكن الاستغناء عنه».

مرحلة الدفاع عن القضية

وضع غسان كنفاني بطله سعيد في رواية «عائد إلى حيفا» في دائرة مشاعره المضطربة، وهو يرى بيته الذي ينكره لأول مرة بعد عشرين عاماً، ثم يتطور بمشاعره وأفكاره ليتمكن من محاولة الإسرائيلي دوف اليهودي بالتبني أو خلدون ولده. وهو على اقتناع بأن ولده خلدون أو دوف سينكره كما أنكرته الأرض. لقد دفع الكاتب بطله إلى قضية أخرى ساهمت إلى حد كبير في تشكيل رؤية الجانب العربي من الحوار، وهو يرد على دوف الذي أنص عليه باللائمة، لأنه تخطى عنه وهو صغير، كما أنهمه بالقتل، لأنه تخطى عن محاولات البحث عنه كغيره من الآباء الذين مزحوا، وتركوا أبناءهم خلفهم، بل رماهم بالبحر كما رمى غيره من العرب الذين كفوا عن محاولة العودة. كما أثار دوف في وجهه الإنسان العربي، ونزفه الدموع ليسترد مفقوداً أو ليبحث عن معجزة تعيد إليه طفلاً أو وثناً.

ويدرك غسان كنفاني ضرورة قطع صلته بالماضي القريب - دوف - في طريق منظوره نحو المستقبل - ولده خلدون - وهو يعكس أزمة التراجيديا بوعي وثبات. ويشكل هذا الموقف نظرة غسان المتعاطفة بالمستقبل، وبحركته التاريخية، وبالتاريخ نفسه، وبأن الإنسان في نهاية الأمر هو مسار تاريخي.

ولا نخل فهم غسان كنفاني للمسار التاريخي يتنوع بطله سعيد بأن العجز العربي لا يعطي العدو مبرراً لاستغلال مصالحه، كما لا يخون الحق في استغلال الأخطاء العربية ليهني عليها أخطائه في القتل والتوسع والاحتلال، وظلم الآخرين. يقول سعيد لمعرف الإسرائيلي: «ولكن متى تكفون عن اعتبار ضعف الآخرين وأخطائهم مجبرة لحساب ميزانكم؟ لقد اهترأت هذه الأقوال الضيقة. هذه المعادلات الحسابية المتسرعة بالأخاديع. مرة تفوتون إن أخطائنا تبرز أخطائكم ومرة تفوتون أن الظلم لا يصحح بظلم. تستخدمون المنطق الأول لتبرير وجودكم، وتستخدمون المنطق الثاني لتتجنبوا العقاب الذي تستحقونه». ويعي سعيد بطل رواية «عائد إلى حيفا» القضية، وأن الإنسان قضية، ويعي طبيعة الصراع العربي الإسرائيلي. وقد أرجع غسان الصراع مع العدو إلى التاريخ ليعطي حكمه فيه، فهو متعاطف بالمستقبل، وبأن التاريخ سيعصم أمر الصراع إلى جانب الحق العربي. ويعي غسان ماذا تعني إسرائيل، وماذا تريد من المنطقة العربية والموثقة، فهي تعقد في وجه الفعل التاريخي، وتصلو أن تغير مسار

الفكري وحركته الطبيعية الدائبة نحو المستقبل، وتجيره لصالحها. ولإيمان غسان بحركة التاريخ تجاوز بطله علاقته بالماضي، لأن هذه العلاقة كانت عابرة، وحاول أن يتخطى حدود الحاضر بعد أن هزته الصدمة القوية في ولده خلدون أو دوف، وأجبرته على التساؤل: ما معنى الأبوة؟ الإنسان قضية، أية قضية؟ ما هو الوطن؟ الطلوة؟ ريش الطلوة؟ صورة القدس على الجدران؟ ما هو الوطن؟ خلدون؟ أو هامناً عنه؟ الأبوة؟ البنية؟ ما هو الوطن بالنسبة لغارس. وما هو الوطن. أهو صورة أخيه معلقة على الجدار؟

ووفق هذه التساؤلات فإن «سعيداً» تمنى أن يلتحق ولده خالد بالثورة في أثناء غيابيه. ويتعدى غسان كنفاني ببطله سعيد - مشغوعاً برويته التاريخية، واستشرافه آفاق المستقبل، واقعه الاجتماعي والسياسي إلى ما قد تكون عليه الحالة عندما تتحقق الصحوة العربية، إذ استغل الفكر الصهيوني، وستحوّل دون ممارسته التوسعية، وسلوكه الإجرامي على حساب الأخطاء العربية. يقول سعيد لدوف: «أنت، أنتعتقد أننا سنظل نخطئ، وإذا كففنا ذات يوم عن الخطأ فما الذي يتبقى لديكم؟»

وقد أترك غسان كنفاني منذ البداية أن لغة الحوار لن تجدي مع العدو، فالأقوى هو الذي يرضخ لفته. لذا اتجه غسان بعد هذه المراحل إلى لغة القوة، لغة الفعل بعد أن تخطى الإنسان الفلسطيني مرحلة البحث عن لقمة العيش، ومرحلة البحث عن هوية، ومرحلة الشوق إلى الوطن المتمثل في التكريات، والقوية والمدينة، والأثبات والمقتنيات، فهذه المراحل السابقة لا تحرك سلكنا، ولا تعيد وطناً. لقد هيا غسان كنفاني إنسانه الفلسطيني نفسياً وإنسانياً لتقبل العمل، والتضحية بالنفس، بعد أن غرسه في دوامة اللجوء وتجرحه مرارة المال في الخيمات، بما تعنيه من قسوة في العيش، ومن مرارة في الحياة، وعن فقد للهوية والكرامة الإنسانية.

فالعامل الوطني، والالتحاق بالثورة بات ضرورة لا مفر منها ليجد الإنسان نفسه، وليشعر بحريته وكرامته، فأمر المقاومة ومقارعة المحتل في زمن أجهضت فيه الجيوش العربية لا يحتمل المجادلة أو المناورة، وبخاصة في ظل حركة الجماهير المستعدة للبدل والعتاء، وفي ظل المناخ الثوري لحركة الإنسان الفلسطيني مدعوماً بتأييد حركة القوى العربية التقدمية.

لقد برهن غسان كنفاني في رواية «أم سعد»، إن الإنسان موقف وقضية في دائرة الصراع العربي الإسرائيلي، وبين أن معنى القضية لم يعد مشكلة فردية تتعلق بمنزل، أو شجرة، أو ولد، سواء لإنسان المعتقل، أو لإنسان المتقي.

ولم يفت غسان كنفاني أن يرمز للثورة الجديدة بعد عام ١٩٦٧م بعرق الدالية الذي غرسه أم سعد، وتما في رواية «أم سعد» - مشغوعاً برويته الشخصية الروائية في أعماله إلى مراتب تتناسب وضرورة التكوين، والتنظير السياسي والعسكري في المنطقة، وقد بينا ذلك في أعماله الروائية. وقد بين إنسانه الفلسطيني في رواية «عائد إلى حيفا» و«أم سعد» درجة الوعي، والقدرة على الارتفاع الواعي فيما هو شخصي وخاضع للصدفة في مصيرها إلى مستوى معين من العمومية.

ويمكن أن تطرح السؤال التالي: هل نجح غسان كنفاني في الوصول بإنسانته الفلسطينية إلى مستوى النموذج الذي يمكن تعميمه على إنسان القضية بعد عام ١٩٦٧م، وهل ارتفع هذا الإنسان إلى مستوى التخطيط الذي رسمه غسان وفق أيديولوجيته للإنسان القضية؟ وللإجابة عن ذلك يجب فهم مسار رواية «أم سعد»، وبخاصة دور «أم سعد» المرأة البسيطة، ابنة الخيم، صاحبة التسقف الواسع، نموذج الجماهير الفلسطينية في زمن الثورة، ووقودها. لقد بينت رواية «أم سعد» كعمل فني رؤية الكاتب التاريخية للقضية، بما تعنيه من رؤية متكاملة ومتوازنة للعالم. وقد التحمت فيها مشكلة الذات بمشكلة المجتمع، كما بينت أنها

امتداد لخطواته وهو يسجل تاريخ القضية الفلسطينية، إلى درجة يمكن معها القول، إن أعماله الفنية سجل خالد لمسيرة الإنسان الفلسطيني بدءاً بالهزيمة، ومروراً بمحاولات الوعي والعمل، وانتهاء بحشد الطاقات والإمكانات النفسية والاجتماعية، لإشعال قتل الثورة، فكانت رواية «أم سعد»، رمزاً لحركة الجماهير الفلسطينية والتحامها في وحدة عمل جماهيري ثوري، غايته مقاومة العدو الصهيوني، وفتح المجال لإبراز الهوية الفلسطينية بما تعنيه من كرامة وحياة ووجود.

وتجدر الإشارة إلى أن أبطال أعمال غسان كنفاني الروائية ليسوا أبداً بالمفهوم التقليدي، بل كانوا من البسطاء الذين لا يفلسفون الأمور، ويعتني آخر كانوا من عامة الشعب - الفقراء - وليسوا من المثقفين الذين يجعلون معتقداتهم الفكرية خشية قفز إلى حومة العمل الفني.

لقد حاول غسان كنفاني أن يلفت أنظارنا من خلال شخصية «أم سعد»، نحو تغير البطل في رويته وحركته وتوجهه، فبعد أن كان محصوراً ومطارداً ومكبوتاً في رواية «رجال في الشمس»، وكما كان يعاني طفلة عمره من وهم تخيله أمامه طفلة خمسة عشر عاماً نسي خلالها أن يني من نفسه رجلاً في رواية «ما تبقى لكم؟»، وبعد أن عاد إلى وطنه في ظل الاحتلال ليرى على الطبيعة أحلامه وآماله وأمجاد السابضة سراباً في رواية «عائد إلى حيفا»، أصبح لحياة هذا البطل معنى وقيمة في نطاق ثورته في رواية «أم سعد».

لقد بدت أم سعد في الرواية الشعب المدرس، ويقدر ما كانت أم سعد شخصية حقيقية، فقيرة في الخيم، يقدر ما كانت رمزاً للثورة الفلسطينية الكادحة والثائرة في داخل الخيم وفي الوطن المحتل، ورمزاً للشعب المعلم، ورمزاً لاختيار غسان الواعي شخصياته عن عمق الفئات الكادحة التي تدفع دون مقابل أو تغلسف، فالجماهير تتحرك وتمنع وتدخل التضال لأنها لا تخسر شيئاً، وتتعلم من تجاربها وأخطائها لتصحح المسار التاريخي على الرغم من الواقع المر الذي تحياه الجماهير، وتدفع لتحسن معنى وجودها وكرامتها، ولسد ممرزب التصدع والهزيمة الذي أغرق الإنسان الفلسطيني في التوحد.

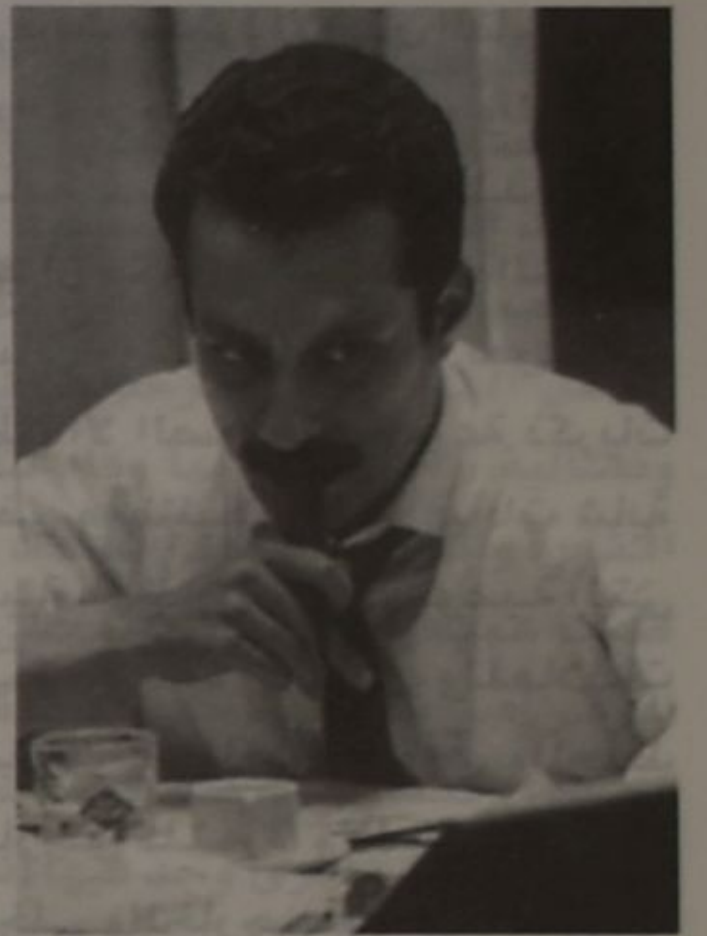
وفي إطار رؤية غسان الجديدة في رواية «أم سعد»، حركة الجماهير الفلسطينية في الخيم وهي تعمل وتتحرك وتبني واقعاً جديداً جاءت شخصياته، وبخاصة أم سعد، مزيجاً من الأسطورة والإنسان العادل في حياته الواقعي.

وكان التوازن كما ترى رضوى عاشور « بالتصوير الواقعي للشخصية من ناحية، وببريطها من ناحية أخرى بمجموعة من الصور الدالة التي ترقى بها إلى مستوى الرمز، وكأني بفسان كنفاني يذكرنا بموقف أم غوركي البطل الواقعي الاشتراكي، وبالتنوع الشعبي في مسرحية «الأم، البريخت، فقد بين بريخت تحول الأم من امرأة عادية إلى مناضلة ثورية بفعل العلاقة الجدلية بين الإنسان والجماهير، وبين الجماهير والظروف الموضوعية التي أنتجت عملاً ثورياً وإرادة قوية في إطار ثورتها. (غسان إنساناً وأديباً ومتصلاً، ص ١٢٤ - ١٢٥).

وتجدر الإشارة إلى تخطي غسان كنفاني القيادات العاجزة.

التي قادت مسيرة الإنسان الفلسطيني في رواية «رجال في الشمس»، والقيادات الشبابية غير الواعية أو المدركة لما يجب أن يكون عليه المنهج الثوري، والقيادات المترهلة التي لا تعرف من الوطن إلا الصور، ومجموعة ذكريات وتحني ومقتنيات - إلى قيادات شابة واعية للظروف الموضوعية التي تحيط بعملها الثوري، وللعلاقات المتشابكة بين العمل الثوري والمحيط الخارجي للثورة، ولألوان الصراع الداخلي والخارجي، وواعية لمسيرتها في مقاومة العدو ولحركاتها نحو الأرض المحتلة، وفي خروجها على السياسة التقليدية، ونبذ القيادات التقليدية، لقد طرحت القيادات الشبابية في رواية «أم سعد»، القضايا من منظار جديد قوامه الجماهير الكادحة، والثورة المسلحة بعيداً عن القيادات البرجوازية التي تضح مصحتها الشخصية فوق الاعتبارات الوطنية، والمصلحة القومية. ويدل هذا المنظار على تعلم القيادات الشابة من أخطاء القيادات البرجوازية. لذا عملت على تحية القيادات التقليدية وتجاوزها، كما يدل على نوعيتها الجديدة في إطار التعامل مع القضية من منطلق مفاهيم جديدة، ومن موقف الحيولة دون أن تصدر القيادات البرجوازية الحركة الوطنية، أو التعامل من جديد بمقدرات القيادات الشبابية وتقرير مصيرها. ووفق هذا التصور فإن غسان كنفاني نجح في رسم مساره

الفكري لحركة الإنسان الفلسطيني بدءاً باللجوء ومروراً بالجوع والفقر والقهر والبحث عن الهوية الضائعة، وتلمس مواطن وجوده القديمة التي تتعده بأنه كان شيئاً، أو إنساناً ته مكاتته، وانتهاء بالثبات الذات وبالقدرة على الحركة والتفكير والعمل، ورسم الخطط، والثورة المسلحة ضد العدو الصهيوني الذي احتل الأرض وشرد الشعب، وتدل هذه الرؤية الواعية والتخطيط الواعي لمسيرة الإنسان الفلسطيني على مدى نضج فكر غسان كنفاني الذي نذر نفسه لتضحيته واستشهاده في سبيلها.



غسان كنفاني

«في جوانب عدة»

وليد عبد الرحيم

شجرة الفلسطينيين لا تمّل الحياة أبداً،
فواز عيد

ما هو السر في استمرار الجدل حول غسان كنفاني، أدبه، شخصيته، واستشهاده، ثمّة كائن سحري يقبع خلف القسمات الممتلئة ذكاءً وغضباً وإبداعاً، والتي تحضر في وجه هذا الرجل أخاديد متضاربة، أخدوداً يرسم تضاريس فلسطين، آخر يحكي انكساراتها، ويطولاتها وسلامها وعنفها.

عقود على رحيله، غسان كنفاني لا يزال بيننا ليس لأنه غسان وإنما لأنه ذلك الفلسطيني الذي يستحيل موته، حياً، إنه بسيط كالشهداء، واضح ككل المناضلين، شفاف بوصفه فتاناً وأديباً، وكتيب باعتباره فلسطينياً لا يمل الحياة أبداً على الرغم من كل أدوات الموت.

غسان مواطناً؛

ربما كان أدق ما اختصر من خلاله غسان واقع الفلسطينيين في الشتات العربي رواية «رجال في الشمس» الفريدة في الأدب العربي، فريدة من حيث الشكل والمضمون، فهي شكلاً ليست رواية تماماً، وإنما شيء آخر، إنه يفعل في «رجال في الشمس» ما يفعله أي مواطن فلسطيني وعربي، يشتم ويفكك ويحبط ولا يبالي بشيء، يضع بين الحروف، يصف هذا بالمخصي ويحملة مسؤولية الاختناق داخل خزان الواقع المرير، ذلك ليس استقراءً لواقع بقدر ما هو تعبير عن الآم، فأبو الخيزران، المخصي يتاجر بنقل لاجئين إلى الكويت في خزانة، إنه لا يكتثر لبقائهم داخل صندوق الحديد المغلق في حر الصحراء، هو يحبهم لكنه لا يكتثر لموتهم، ويريد استثمارهم لكنه ليس مستعداً لبيعهم، يتألم بعيد مغادرته لسوق النخاسة، مشتتاً تجاه أحاسيسه ومن خلالهم يستفيد، لا يحبذ هذه الاستفادة في أعماقه، غسان هنا بصراحة يطرح رؤية الفلسطيني للنظام العربي، النظام السياسي، إنه يطرح التناقض الذي خطته الأنظمة، والتي كان لسان حالها التعاطف مع فلسطين وبث مقولات كراهية الفلسطينيين وهو ما استنعره العديد منا في مختلف مناحي حياته، مع الانتفاضة، وضد المنتفعين، تقديس لفلسطين وتعاون ضد الفلسطينيين يصل إلى حد الوقوف في صف الجلاد عند البعض.!!

غسان المواطن، لا يتقن المواربة ولا يحبذ المواراة، فهو واضح كمثل أولئك الواقفين في طوابير استلام مؤونة الإغاثة، يستلمون حصصهم ثم يشتمون من قام بتوزيعها!! يقاتلون ويقتلون، فلا يشعرون بأنهم قدموا شيئاً. غسان أيضاً يقول ذلك بطريقة

فنية، ولا يستثنى قيادتنا، قيادة الثورة الفلسطينية من ذلك، بل لا يستثنى الشعب والمجتمع نفسه أيضاً حينما يصرخ: «لماذا لم تدقوا جدار الخزان»، إنه يعتبر نفسه هنا كفلسطيني متأخراً باحتجاجه، ليصل إلى قمة السخط بتحميل بعض من الإدانة للضحية نفسها التي لم يكن احتجاجها عالياً في البداية، ربما كان يقصد انتفاضة لم يشأ العدو أن يراها تفرغ جدران خزان العقل والواقع الفلسطيني فقتله قبل يوم الأرض، والقتال البطولي في لبنان، والانتفاضات المتكررة في فلسطين، لم يشأ العدو أن يرى صاحب الصرخة صداها، فقتل غساناً محالاً بذلك قتل الروح الفلسطينية المتمردة على الآخر وعلى نفسها، على الواقع والحلم، الهزل والجد، الوطنية والخيانة، شأنه في ذلك شأن أي فلسطيني، وربما لأول مرة، ساورد حادثة واقعية تعجل في فهم مواطنة غسان كنفاني، وهي أن أحد الفلسطينيين الذين كانوا يعيشون في ليبيا وبعد قراءته لروايات كنفاني، أقر بأنه لا يستحق الحياة فشنت نفسه وذلك في مدينة بنغازي، بالطبع هو لم ينفذ هنا ما قاله غسان عن قرع جدران الخزان لكنه أوضح مدى تأثره، يقول أبناءه بأنه فعل ذلك لاثماً نفسه على الخروج من فلسطين، ربما فهم صرخة غسان على أنها كذلك، وبما أن النكبة حلت لم يستطع إعادة عقارب الساعة إلى الوراء فانتحر تاركاً رسالة لابنه تقول بما أنني تأخرت في قرع جدران الخزان، فأنا لا استحق الحياة.!!

هذه حادثة ليست إيجابية، لكنها معبرة بطريقة أو بأخرى، أفصح تعبير لها أن غسان يصل إلى داخل المواطن الفلسطيني ليس من خلال الشعر وإنما بطريقة جد بسيطة، يكتب همومنا، ومع الإقرار بخطأ الفعل الانتحاري، إلا أنه وعلى سلبيته يوضح مدى التأثير بحروف غسان، وإن كان يقصد على غير ما فهمه هذا المواطن المنتحر، إلا أن صرخة قرع الخزان وصلت إلى الكثيرين بطريقة أخرى وأزعم بأن صرخته هذه مع صرخات كثيرة أطلقها كتاب

فلسطينيون هي من صنعت الشخصية الفلسطينية فأخرجتها من حالة النكبة السلبية إلى حال الفعل الثوري. لقد أنقذ أمثال غسان كنفاني الشعب الفلسطيني برمته من الضياع، عبر فهم لدواخلنا، وعبر التحريض، فانكسرت السلسلة الحديدية التي صنعها أمثال أبو الخيزران (المخصي) وقرعت جدران الخزان حقاً، وقد استطاع كنفاني ذلك، ليس فقط لأنه كاتب مبدع وإنما لكونه فلسطينياً حقيقياً، إنه مواطن عادي، لا جرى متألم، وفدائي وأديب وفنان مبدع، كل ذلك حين يجتمع يصنع معجزة التواصل مع الجمهور الذي تفتقده غالبية من أدباء وسياسيين وفنانين.

غسان مبدعاً؛

.. عمل غسان كنفاني على تصه بجهد مضن، لم يُعرف أدبه ولم يشأ أن يسميه، ليس لأنه لا يعرف ما يكتب وإنما لاكتشاف إمكانية كتابة شكل مختلف، ومُختلّف عليه من ضواحي أساليبه المترامية التي يجمعها الإبداع منطلقاً والمضمون غاية، مما حدا به للغوص في أشكال مترامية، ربما لم يقصد ذلك، لكن طبيعة النص الذي يكتبه فرضت نفسها مع كل جملة خطها بقلمه الواثق والمرتجف، لهذا قيل إن غسان كنفاني متأثر بالوجودية، ثم قيل بالواقعية، والواقعية الاشتراكية، والرومانسية وقيل ما قيل لكن الرجل لم يكن سوى نفسه في كل الأوقات. لم يابه بالشكل، لهذا جاء متعدد التجريب في مدرسية كتابته، ولهذا أيضاً اعتمد لغة بساطة ممتعة، لا تعتمد الادهاش أو التنظير اللغوي للقارىء. وهو الأسلوب الذي اعتمده مجاليه، وكان سائداً ولا زال في مفاهيم أهل الحداثة العربية التي اعتبر بعض أو غالبية رموزها أن التهويم لغةً هو واحد من فنون الكتابة، وأن الكتابة المعقدة والتي تصدم عقل القارىء هي كتابة راقية، لم يكن غسان من بين هؤلاء فقد اعتمد لغة بساطة عميقة ونادرة. إن أهم ما يميز غسان كنفاني ليس السهولة، وإنما ما يمكن تسميته

بالعمق المتدرج، أي ذلك الذي يعتمد على طرح بسيط شكلاً يمكن فهمه من قبل البسطاء وغير الدارسين أو المختصين، وهو في الوقت عينه يحير النقاد والمختصين ببلاغته وعمقه ولا دلالاته المرئية، ولهذا حاز الأديب الكبير على رضا كل من أهل الأدب والفن، وتقدير الجمهور الواسع، لهذا لا يمكن اعتباره مبدعاً جماهيرياً كما تم الترويج لذلك منذ عقود، غسان كنفاني مبدع وحسب، لكن أسلوب إبداعه قابل للفهم حسب مستوى معرفة وثقافة المتلقي، إنه كاتب العمق المتدرج، وهو ما أثار نجاحاً لدى العديد من أساطين الحداثة العربية شعراً ونثراً كنزار قباني، ومحمود درويش، على أن غسان اغتيل قبل اكتمال مشروعه ليس بالمعنى الفكري والفني، وإنما الكمي، لتتخيل إنه لا زال حياً، بالتأكيد لكانت الرواية والنثر والمسرح العربي أكثر سطوعاً ولا نبالغ هنا إذا قلنا أن هذا كان أحد أهم أسباب اغتياله.

غسان شهيداً؛

ترى ما الذي يدفع صهيونية منتصرة تسحق عدة جيوش بأيام، ولديها كل هذا الكم من المساعدين عرباً وعجماً للتفكير بقتل كاتب، لأن هذا الكاتب جمع بين كونه قائداً سياسياً، وإعلامياً، وفناناً وأديباً؟ سؤال من الصعب الإجابة عليه، لأن العدو الذي اعترف بجريمة اغتياله بعد أكثر من ثلاثة عقود قد لا يعترف بالسبب إلى ما بعد ثلاثين عقداً آخر.

شخصياً لا اعتقد بأن سبب اغتيال غسان كنفاني إلا كونه أديباً يهدد بسعة الانتشار والتأثير والتحريض على نطاق واسع، إلى كونه مؤسساً لمجلة خطيرة كانت تنهج منهجاً مغايراً للسائد، ليس من حيث الشعار السياسي وإنما الجموح نحو عمق إبداعي صحفي، فالمرجع للهدف منذ تأسيسها وحتى بعد اغتيال كنفاني، يجد روحاً فلسطينية مفعمة بالتعبير والتثوير عبر مفردات غير شعراوية، وبأسلوب يحمل في طياته كل ذكاء «خبث»، كما كتبت عنها الصحافة العبرية، الهدف كانت، إلى جانب الإبداع الشخصي، هي من جعل من كنفاني هدفاً للاغتيال.

لقد جمع كنفاني بين عمق المبدع، ومباشرة المقاتل، وجموح الثائر، وعمق الفيلسوف، وحنكة السياسي المناضل، لهذا مجتمعاً كان لا بد من اغتياله.

كنفاني عاشقاً؛

لو لم يكن غسان عاشقاً شفافاً، يفيض أحاسيساً ورغبة وهياماً لما استطاع أن يعطي كل هذا الحب لوطنه، فالحقيقة لا تجزأ والرجل لا يمكن أن يكون طبيعياً إن لم يحب فكيف به إذا كان مناضلاً مبدعاً، إنه في عشقه لوطنه يحكي قصة أكبر عن حبه لامرأة، أب، أم، صديق وإلى ما هنالك.

مناسبة القول هنا هي تلك «الخطيئة»، التي حملها البعض لنشر رسائل المبدعين الكبارين، غسان كنفاني وغادة السمان، فاعتبر البعض بأن الرسائل «تسيء»، إلى غسان، وكان الرجل ولد بلا أحاسيس رجل شرقي يهيم بامرأة ما، وكان خطيئة الحب تنفي النقاء عن مبدع لم يكتثر سوى لصدقه مع نفسه غير أنه بما قد يقال من هنا أو هناك كما لا يبني جداراً من الكذب الوقور مخفياً أحاسيسه الخاصة خلف صورة المناضل

المتخشب، وجاءت ردود الفعل على غسان العاشق متفاوتة، المناضلون والمبدعون الحقيقيون بغالبيتهم رأوا أن الأمر طبيعي بالنسبة لمبدع زاده الشفافية والإحساس العميق بكل الأشياء والتفاصيل من حوله، ووقود إبداعه استمرارية الإحساس بالحياة بكل تلاوينها العامة والخاصة، عامته كانت فلسطين، وخاصته كان إبداعه الشخصي وعشقه المتنوع، وهو بذلك لم يخن نفسه أبداً، بل أضاف نقاءً لنقاء وطهر قضيته، المشروعة في كل جوانبها، والعميقة في كل أشكالها، لم يصطنع انتقاء لمفردات من هنا أو هناك كما فعل بعض مواكبيه زمنياً فصار يكتب عن حبيبته (المرأة)

ويسرد أفكاره وأحاسيسه ثم يكذب على نفسه فيكتب في النهاية فلسطين، وكان حب امرأة أو أب أو أم أو صديق يلغي حب المرء لوطنه، إن الأمر في حقيقته معاكس تماماً، ونزعم أن من لا يحب لا يستطيع أن يحب وطنه، كل المناضلين الذين خطوا بأجسادهم المدماة تواريخ مهمة لشعوبهم، كانوا عشاقاً، ليس فقط لأرضهم وأوطانهم وشعوبهم، بل لنساء أحبوهم وتمادوا في التعلق بتلابيبهن، صحيح أن الحديث عن هيام شخصي بامرأة يبدو أمراً سخيلاً في بعض مراحل النضال، لكن ذلك لا ينفي إمكانية بل ضرورة وجوده واقعاً، بل إن الآخر المتواطىء كشخصية أبي الخيزران في «رجال في الشمس» والذي نجده عاجزاً عن هذا الأمر مريضاً وهو ما أودى به إلى كل هذه الانتهازية وال..... فالأمر هنا لا يتعلق بشيء أكثر من كونه حقيقة إنسانية طبيعية أمام تشوه نفسي يؤدي إلى ما لا يحمد أمره.

لقد صنع البعض من رسائل غسان وغادة التي نشرتها هي بنفسها وكان فضيحة قد وضع الغطاء عنها، كما عبر البعض عن سخطه لنشرها وكان المناضل الشهيد ينبغي أن يكون شخصاً متخشياً، لا حياة فيه، وكانهم يريدون ما أراد العدو نفسه مع تأكيد حسن النية هنا. لبيدو المبدع الكبير غير مبدع في حياته الشخصية، فنتسي



كثيرون أن صدق اللحظة يفضي إلى الصدق في تناول الوطن، فكان الاستنكار وطلب التعيم على الحقيقة التي لا شك بأن غسان كان يلمس جوانبها تماماً في حياته الشخصية كل لحظة، وربما فكر في لحظة ما أنها ستكون سبباً لقتله، وقد كانت لاحقاً!

غسان خارج الزمن :

ربما نسأل أنفسنا، ترى لماذا لا زال يكتب حتى اليوم عن غسان كنفاني وكأنه اغتيل أمس، أو كان أديه كتب قبل لحظة، والجواب بسيط، غسان كنفاني مبدع متعدد الأوجه والدلالات والأفكار، عميق الرؤية، مع كل مرة تقروه تكتشف شيئاً جديداً، إنه شبيه ببطل أسطوري، كلما رأيته اكتشفت في وجهه ملامح جديدة، المؤسف أننا نستطيع الزعم بأن العدو اكتشف مواهب الرجل قبل أن يكتشفها كثير من الفلسطينيين والعرب فحسم أمره، في حين لا زال البعض في الساحة الثقافية الفلسطينية والعربية غير منتبه إلى ذلك الكائن السري الساكن بين حروف كنفاني، فهناك من يقول بأن غسان أخذ أكثر من حقه نقدياً وإعلامياً، وانكم أنتم خصوصاً في مجلة الهدف تحتفلون سنوياً بذكرى اغتياله وتروجون بضاعته، ولا شك بأن الهدف وافية مؤسسها الكبير، لكن ماذا سيقال لأولئك النقاد الذين من بينهم غريبيون، بل وحتى صهاينة لا زالوا يتابعون ويدرسون نتاج كنفاني وكأنه نشر يوم أمس؟ فقد رد سامي ميخائيل الروائي الصهيوني على رواية «عائد إلى حيفا» بعد قرابة أربعة عقود، وللأسف لا زال بعض منا لم يكتشف غسان كنفاني وكأننا مصرون على أن يكتشف العدو أشياءنا، مزايانا، إبداعاتنا قبلنا نحن أنفسنا، وكان هناك من يصير على ألا يفهم روح غسان كنفاني، الذي يجمع بين المناضل والسياسي والعاشق والمناضل والإنسان. كل هذا الجمع أوصل هذه الشخصية إلى أن تكون ركيزة لإبداع فلسطيني مميز، يحتمل كل تأويل ولكنه لا يمكنه إلا أن يكون نفسه، لهذا فإن الوقوع في بئر غسان كنفاني وقوع ممتع، وغني وشائلك، وعميق مع كل متر تكتشف تضاريس جديدة، إن ذلك ليس شأن كنفاني وحده، وإنما كل المبدعين الحقيقيين، والكبار حقاً. إن غسان ينتمي إلى شجرة الفلسطينيين التي وصفها راحل كبير آخر هو فوز عبيد قائلاً بأنها لا تمل الحياة أبداً، ولهذا سيستمر الجدل أيضاً.

غسان كنفاني أديباً ومناضلاً

حمزة بركاوي

بالدم كتب فلسطين. بالدم تكتب فلسطين وللوطن العربي. هذا هو شعار اتحادنا: الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين، الذي عقد مؤتمره الأول في السادس من أيلول عام ١٩٧٢، أي بعد أقل من شهرين من اغتيال غسان كنفاني في الثامن من تموز من العام نفسه. وقد كان غسان عضواً في لجنته التحضيرية التي كانت تجتمع برئاسة كمال ناصر.



أدخل هذا المدخل كي تتذكر أن تلك الفترة كانت من الفترات العصبية التي مرت بها ثورتنا المعاصرة والتي استهدفت فيها الأعداء فيما استهدفوا الكلمة الملتزمة والمنصف الثائر..

فبعد بضعة أيام على استشهاد غسان، وفي التاسع عشر من الشهر ذاته جرت محاولة اغتيال الدكتور أنيس صايغ في مكتبه، وبعده ببضعة أيام آخر جرت محاولة اغتيال بسام أبو شريف الذي خلف غسان كنفاني في رئاسة تحرير الهدف، مروراً بباسل الكبيسي ووائل زعيتر ومحمود الهمشري.. ولما

يمض عامان حتى اغتيل كمال ناصر وأبو يوسف النجار وكمال عدوان. كل هذه الاغتيالات أو محاولاتها كان المستهدف هو الكلمة الفلسطينية الحقّة.

ولكن السؤال الذي يفرض نفسه: لماذا استمر غسان يسكن نفوسنا، ولماذا بقي حاضراً في ضمائرنا بصورة تلقائية، دون أن نحاول، نحن، استحضاره قسراً؟ لماذا غاب غسان جسداً كي يحضر بروحه حضوراً آخر، هل كان موت الجسد جسراً لهذا الحضور الجديد؟ الجواب يأتي مباشراً وبسيطاً، فغسان كان حاضراً في فلسطين، وكانت فلسطين حاضرة دوماً فيه.. هو وفلسطين توأمان لم يفترقا إلا بتناثر الجسد المشطى بعيداً عن عكا.. غسان كالمسيح، حمل فلسطينه وبشر بها، هنا جانب من شخصيته، لكن الجانب المدهش، بل الأكثر إدهاشاً أنه لم يكن هاوياً بالتأكيد بالفعل والكلمة. إنه وعن وعي أراد تحويل الكلمة - السلاح الذي يملكه، إلى فعل. فعل يدفع به إلى جدار الصمت، يفتح به ولو ثغرة. انتزع الكلمة واحتضنها وبها حرض وحذر وأشار إلى علامات النصر. كان محترفاً، بمعنى ما، بمعنى أنه كان يعلم أن الكتابة سلاح، وأن عليه أن يستخدم هذا السلاح. لأن الزمن لا يسمح بالانتظار.

كان محترفاً بمعنى أنه كان يعيش كل لحظة، دون انتظار المستقبل الذي يستتره، لا يؤجل شيئاً، ولا يقدم شيئاً ناقصاً، تتساءل مع كثيرين: هل هي البراعة المجردة التي مكنت غسان من المزاحجة بين المثقف والسياسي؟ أقول لقد ساعده على ذلك تلك القدرة الاستثنائية على العطاء التابعة من حيوية ونشاط تكشف عن عميق إيمانه بقضيته.

من هذه المسألة استمد غسان نسج رواياته، وهذه كلها شكلت وقوداً لإبداعه، ومعيناً لا يتضب من القدرة على العطاء. كان يرى أن تطور الإبداع وازدهار الشخصيات المبدعة يتغذى على طرف

يا حبذا لو تولت جهة ما - مؤسسة غسان كنفاني، منتدى غسان كنفاني، أو الاتحاد - جمع ما كتبه غسان بما فيها تلك التي لم تذيّل باسمه ووضعها بين يدي النقاد كي تدرس غسان سياسياً وإعلامياً فتضاف إلى الدراسات التي اهتمت بدراسة عطائه في المجال الإبداعي.

اليوم ندرك مع غسان كم كان حجم التأمر كبيراً ولا زال ..

اليوم ندرك مع غسان كم كانت الإمكانيات التي وضعت بيد المقاومة محدودة، مما جعلتها صعبة وأدت إلى أن تكون الضريبة التي دفعها ويدفعها شعبنا باهظة.

فما الذي حدث؟ حدث الذي حذر منه غسان، أصبحت الثورة مؤسسة وسلطة.. لا تتقن مهماتها سوى حشد الشرطة، ورجال الأمن وكمرست الانحراف السياسي الخطير باتجاه السير في نهج التسوية والتفريط المدمرين.

أصبح الشعار أكثر ارتجالاً وغاب النقد الهادف، نقد المثقف الوطني، وتراجع مفهوم الثقافة التي مثلها غسان: ثقافة التحرر والمقاومة، ثقافة

النقد والبحث واعداد البرامج. ازدادت المشاكل وكبرت.. الوطن غارق بدماء أبنائه، وسوق التنازلات والمساومات والحفاظ على الامتيازات في ازدياد والشعب بين مطرقة إسرائيل

وسندان وتنازلات سلطته. مهما اختلفنا مع غسان، وحول غسان، فلقد كان فداً، كان مخزوناً هائلاً من الإحساس بالوطن وحب الوطن، والقدرة على منح هذا الحب.. غسان فصل هام من رواية عصرنا، عصرنا المليء بالمآسي، عبر نهاية كان من الممكن أن لا تقتنع بها لولا أن المسألة أكبر ولا تكتمل إلا بمثل هذه النهايات.

كان كمن يهوى المغامرة، إلا أن مغامرته كانت بمثابة لقاطد علام يستدل بها السائل للوصول إلى الحقيقة، بما فيها المشارة الأكثر سطوحاً، استشهاده الذي شاء له القدر وانتهى إليه فارتقى به إلى مصاف الكرماء.

المسألة الأولى، التنبه إلى التأمر الذي تتعرض له الثورة والإشارة إلى الأعداء الذين يتربصون بها، فهو كان يدرك أن الأمر ليس هيناً.

المسألة الثانية، هي الإشارة إلى إمكانيات الثورة والمجاهبة.. وهنا كان التركيز يتم على توفير المستلزمات، مثل: طرح المهام، ومنها كانت القضية الثالثة، وهي: موضوع الشعارات فكان يربط بين إمكانيات الثورة وبين صناعة شعاراتها، فكان يرفض الارتجال في طرح الشعارات أو إطلاقها في الهواء، ويقول: الشعار الحقيقي هو الذي يتلامم وإمكانيات الجماهير على تحقيقه، والشعار لا يجوز أن يبقى معزولاً عن الجماهير.

منذ العام ١٩٥٤ تنقل غسان بين نشرتي الرأي والثر في دمشق، ثم صحيفة الفجر في الكويت، والبحرية، فالحجر، وملحق المحرر، ثم الأنوار إلى أن حذر حاله أخيراً في مجلة الهدف. عبر هذه الرحلة كان غسان حارساً لذاكرة الوطن الذي لا يضيع بالاحتلال ولا يستبدل بالنفي، شاهد على مرحلة لا زالت محاكمتها جارية.

معين، فالحياة أغنى المدارس وأكثرها فائدة: هي منبع المعرفة، الذي تغذيه رواهد المقارنة مع تجارب الآخرين، وقراءة التاريخ ومعرفة الماضي، التي هي في حد ذاتها معرفة للذات والحاضر وقراءة للمستقبل. لكن الإشكالية التي لم تأخذ مداها في نقد فكر غسان، الرواية، والقصة، والمسرحية جزء منه، هي التماثل مع الخطاب الأيديولوجي السائد آنذاك، وبالتحديد موضوع اليمين واليسار الذي كان غسان يؤمن بها، والتطابق بين الممارسة والنظرية.. فأحياناً كثيرة يراد أن يكون لأدب غسان سمة الالتزام بالثوابت فحسب، تحذونا الرغبة في الحرص على سمة النموذج والإنسان الرمزي، وإسقاط الأسطورة على الشهداء، نبريء به أنفسنا، وتطهر منه.

الواقعية والمثالية تلقتان كما لم يحصل في شخصية فذة جعلت منه كما قال جبرا إبراهيم جبرا: «صوتاً من أهم أصوات هذا العصر».

لا ينتقص من هذا التطابق أن يقوم غسان المبدع والصحالي والمناضل الواعي، والقائل بخيار المواجهة والمقاومة أن ينتقد الإمكانيات المتاحة لأن يقول إن الهدف يجب أن يكون متطابقاً مع الإمكانيات وأن يخوض معارك يومية يخسر فيها ويربح.

إنه الحرص على استمرار الثورة، فليس بالضرورة أن يكون المستوى الثقافي الإبداعي مطابقاً تماماً لما يجري على الأرض ولما تتبناه السلطة أو القيادة، فغسان لم يكن خارج الحياة بل في معتركها الأهم واليومي.. كان يعني تماماً أن الأهم هو الحيلولة دون هزيمتنا على الجبهة الثقافية.

في كتاباته وبصورة خاصة زاويته في جريدة الأنوار «أنوار على الطريق، أمسك بمفاصل الثورة، وعالج مشاكلها. كانت هذه المقالات مثلها

مثل كل مقالاته السياسية تعاليم همه بصورة مباشرة وتثبت أن الحياة أغنى من كل الأيديولوجيات، وأكثر ثراء من نسق أي منها وقوابلها الجامدة. كان شعاره: الثورة لا تتحمل المواقف الوسط، ولا المهادنة، ولا التاجيل، ولا



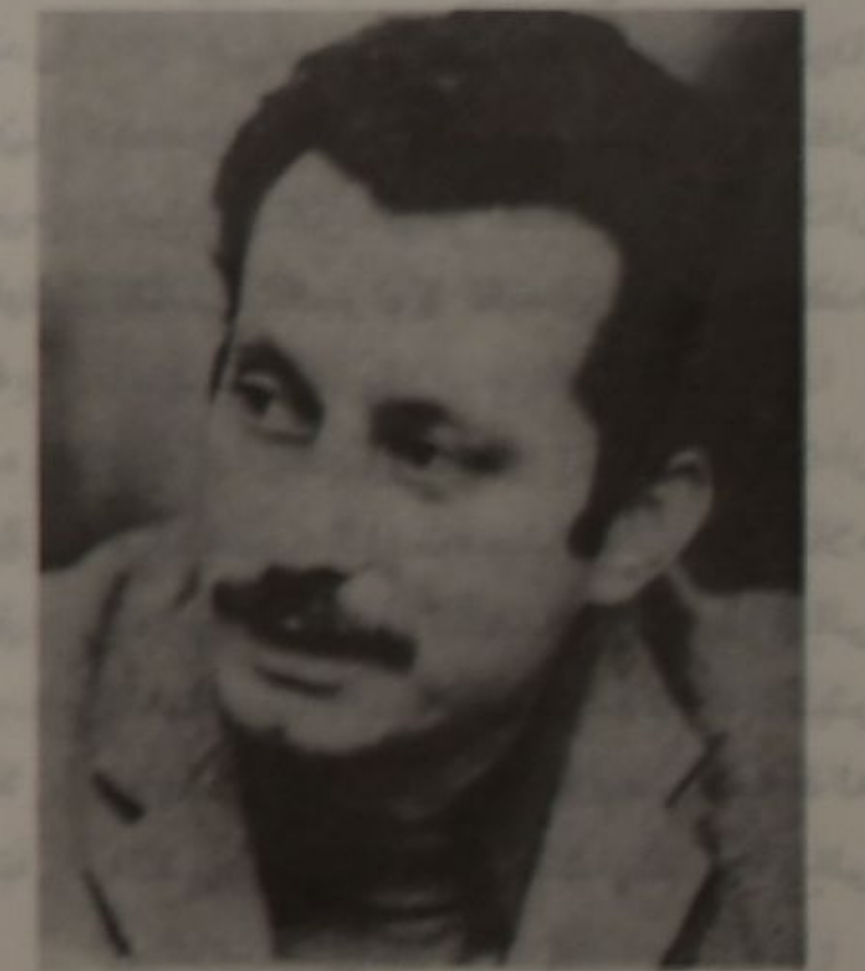
غسان كنفاني في الذاكرة

فؤاد ديب



عندما سكب الأصدقاء
سلال البرتقال فوق رأس
ناجي العلي في لحظة من
الفيلم الشهير الذي قام ببطلته
الفنان نور الشريف بعد أن نُشر أول
رسم كاريكاتوري لناجي العلي في
الصحف.. كان وراء ذلك غسان كنفاني
الذي ما أن شاهد رسومه حتى أخذها
بيده لتجد طريقها إلى النشر..
سكب الأصدقاء البرتقال.. وسكب
البرتقال خيراً!

ونحن في الذكرى الرابعة والثلاثين
لاستشهاد غسان كنفاني حوم طيفه
كما كل يوم على أصدقاء، مذكراً بهذه
الخاصية التي تمتع بها غسان، فكان في
منظمة الشبيبة الفلسطينية ومجلة
الهدف ومنتدى غسان كنفاني الثقافي
والمركز الشبابي الفلسطيني - جفرا
- على موعد مع ذلك الطيف فحاولنا
جميعاً أن نتمثله محتفلين بوجوده
وبذكراه، فكان أسبوع غسان كنفاني
الثقافي من فعالياته: أمسيات
شعريتين لعدد من الشعراء الشباب،
واعتترف أن العدد كان كبيراً لكننا لم
نكن نمتلك حيز الوقت فهناك العديد
من الأنشطة في هذا الأسبوع، وكان
للشعر نصيب الأسد في هذا الأسبوع،



لا البكاء..

ولا الذهاب إلى السفارات

يعيد لي وطني

ولا أقسى ما فعله العرب.. الاستنكار

يعيد لي وطني

يكفيطني وطناً.. قلب طائر صغير..

يتنقل بينهم دون جواز سفر..

وجاءت مرام اسلامبولي تشع هادئة تتسرب إلى النفس كما الماء
على الرمل ليستقر في قلب الأرض خزاناً تستخرجه متى تريد.
قالت من قصيدة (يربي الضوء):

يربي الضوء في القوارير
وأنا أشتل في الغيم الزنايق
لاعطر منافع الريح
كم فاوض الصمصاف على اقتسام
هطولي.
لكنني
أجر سرب فراشات تحرسني.

وتهادي فايز حمدان على أرضة دمشق
المضمحلة معاتباً إياها ببساطة ودون
تعقيد لأنها تدفعه للرحيل، فيقول:
ثمة أسباب تاهة
تدفعني للرحيل
سأسافر
لأن أرضة دمشق
سُرقت منها
بضعة أمتار فقط
سأسافر
لأنني ويكل ببساطة
لم أركب طائرة من قبل.

وبعده قامت جميلة نحيلة.. ذات
عينين واسعتين، فأضاءت وكأنها
اكتسبت توهجها من عطر يتكسر تحت
أصابعها.. فقالت رنا زيد في قصيدة
(فاطمة):

انطقاً سراج الوقت
خطا ناي على رعدة الأسماء
كورت لي جدتي فلسطين
كبرتقالة حجم قمر ندي
وأرخت على جسدي
ظلاً تشقق نبضاً
فاخترق السكينة..

وقد أقت أيضاً، قدر خباناً في شجرة،
و «الورود من دونك هوضى»، وجاءت
بعدها رفيقة واثقة تسبقها الغيوم
فيضطر المرء أن يزيح الغيم كمشة
كمشة فلا يشعر إلا وأصابه أصابها
المطر وما أن يضعها على الورق حتى
تكون بصمتها شعراً فقالت رائدة
الخضري من قصيدة (عبور إلى قبلة
المنتهى):

هناك على باقة الليل
شب سهيل لأنني
تحوكت نسيج الحياة
على نول أغنية من آئين
وتهذي ببرق يمر
على حلمها المطمئن.



وقد أقت أيضاً قصيدة بعنوان (بين الأمس و بيني)
وجاء الشاعر كمال الزطمة من مخيم حمص حاملاً معه
هموم المخيم تورهه أينما حل ويترك لروحه الوطنية أن
تترك خلفها ظلاً من الأحلام. وقد ألقى ثلاث قصائد هي:
(انتماء المخيم)، و (جميلة)، و (حاجر) ومن هذه القصيدة:

على معبر..

هناك ولدت..

أمام بوابة.. وحاجر

قالوا لامي..

ما تسمي الفتى..

قالت لهم: سموه حاجزاً!!!

واختتم الأمسيات الشاب القادم من هناك نحيلاً يضع في
زاوية ميسمه سيكارة.. تشاركه هشاشة روحه يرميها كما
يرمي النرد، لكنه لا يعتمد على الحظ فهو يثق بأنه يهزك
وتخرج معه رابحاً هو بشعره وأنت بحضورك لأمسية هو
فيها، ومن قصيدة (صحائف الفضيحة):

ما تراه مراهقة هشة في فتى ما

أراه بنفس الشهية في الشعر

زوجت نفسي القصيدة..

كائن من رماد أنا

أترهبني في عالمي الافتراضي

لست سوى شبح

لغريب..

محا الدهر أيامه.. ومحاه

وانتهت الأمسيات. ونحن نعد أنفسنا أن تكون هناك أمسيات
أخرى. وندعي بأنها كانت جميلة حميمة بالشعراء
وبالجمهور. وكان هذا الأسبوع قد افتتح بمعرض للفن
التشكيلي لبعض الفنانين الشباب ضم عدداً من لوحاتهم
وعرض فيلم فوتوغرافي من إنتاج مركز جفرا بعنوان (في
المخيم خارج المنزل). واطلاق أسطوانة ليزوية بعنوان غسان
كنفاني في الذاكرة من إنتاج لجنة الإعداد والتنقيح في
منظمة الشبيبة الفلسطينية.

متعة الاصطياد

حسن شتيوي

شاليت.. ألم يكن الاصطياد في صباحات النهار متعة 19 حقاً.. إنه
كذلك. لأنك لم تكن في غفلة من أمرك.. حين ابتعلتك رمال غزة المتحركة
وأنت ترتقب إصدار الأوامر من قادتك للعبت بدماء وأرواح أطفالنا..

ألا تعرف شاليت أن (أمطار الصيف) لا تختلف كثيراً عن سابقاتها
وأن الوقت يتبدد؟

شاليت.. ألم تتعب من القتل، وأخذت غفوة من دمنا المسفوك قليلاً..
ألم تطلق نار قذائفك اتجاه شواطئ غزة لتسفك البراءة والطفولة
(هدى غالية) فأبقيتها مع غيرك من الغيلان تصرخ على دمها المبتل
بالرمال.. لا لذنوب اقترفته.. إلا لأنها من (الأغيار) المستباحة دماهم..
فأية رجولة وعسكرة.. لقد كنت بلباسك العسكري متبهاً مغروراً..
لنكتشف بعد حين.. نضك وقوتك.. ولهذا ستكتشف الظلام والخسران
بعد أن شردت كثيراً وأتعتت الكثير من أطفال غزة.. والان تغيب عن
أمجادك المصطنعة.. شاليت!

يعرف (البلدوزر) الراقد في سباته الطويل بعد أن صفته غزة منذ
البدائيات الأولى أنها لن تتغير ولن تتبدل.. فرمال غزة ما زالت تتحرك..
وها هو بحرهما يبتلعك أنت لا كما تمنى دهاقنة السياسة من قومك بأن
يبتلع البحر غزة..!!

أنت حقاً ذئب.. ذلك القط الذي يلاحق فراشات الصباح.. ربما الآن
أو غداً تدرك جيداً ما للحرية من ثمن.. وكم هو ثمن الحياة..

أنت مع غيرك كنت تشارك في القتل.. تقتل مزاجاً، واصطيادك كان
مزاجاً آخر..

فلن تغير أمطار صيفكم في الأمر شيئاً.. ولن تجلب لكم الأمان.. ولن
تكون أنت في أسرك الأول ولا الأخير شاليت..!

لقد نلت شهرة أكثر من غيرك.. أكثر من قادتك.. ألم تكن شاليت
صديقاً لابنة رئيس وزرائك السحاقية يوماً.. فقطعنا عليك متعة اللقاء،
وأتلطنا بقايا لفاقة (حشيش) كانت بين أصابعك.. ننصحك إن بقيت
حياً ألا تعود إلى غزة ثانية، وألا تمارس القتل والإرهاب بحق البراءة
والطفولة.. لأن غزة ستصطادك ثانية، ولن يكون لك مناص من عقاب..

لتمطر ما أمطرت صيفاً..

شاليت..!

أخيراً أنت الوقت الحاضر.. لتعلم أن المستقبل لفلسطين وأهلها فعلى
هذه الأرض ما يستحق الحياة.. ولقد نذر أهل فلسطين أرواحهم في سبيل
حياة أفضل على ثراها..

كفى، لن تذهب شاليت إلى حريتك قبل أن يتحقق جزء من حرية
أسرانا ومعتقليننا الذين يقبعون في سجون النازية الجديدة.



المناضل عاهد أبو غلظة



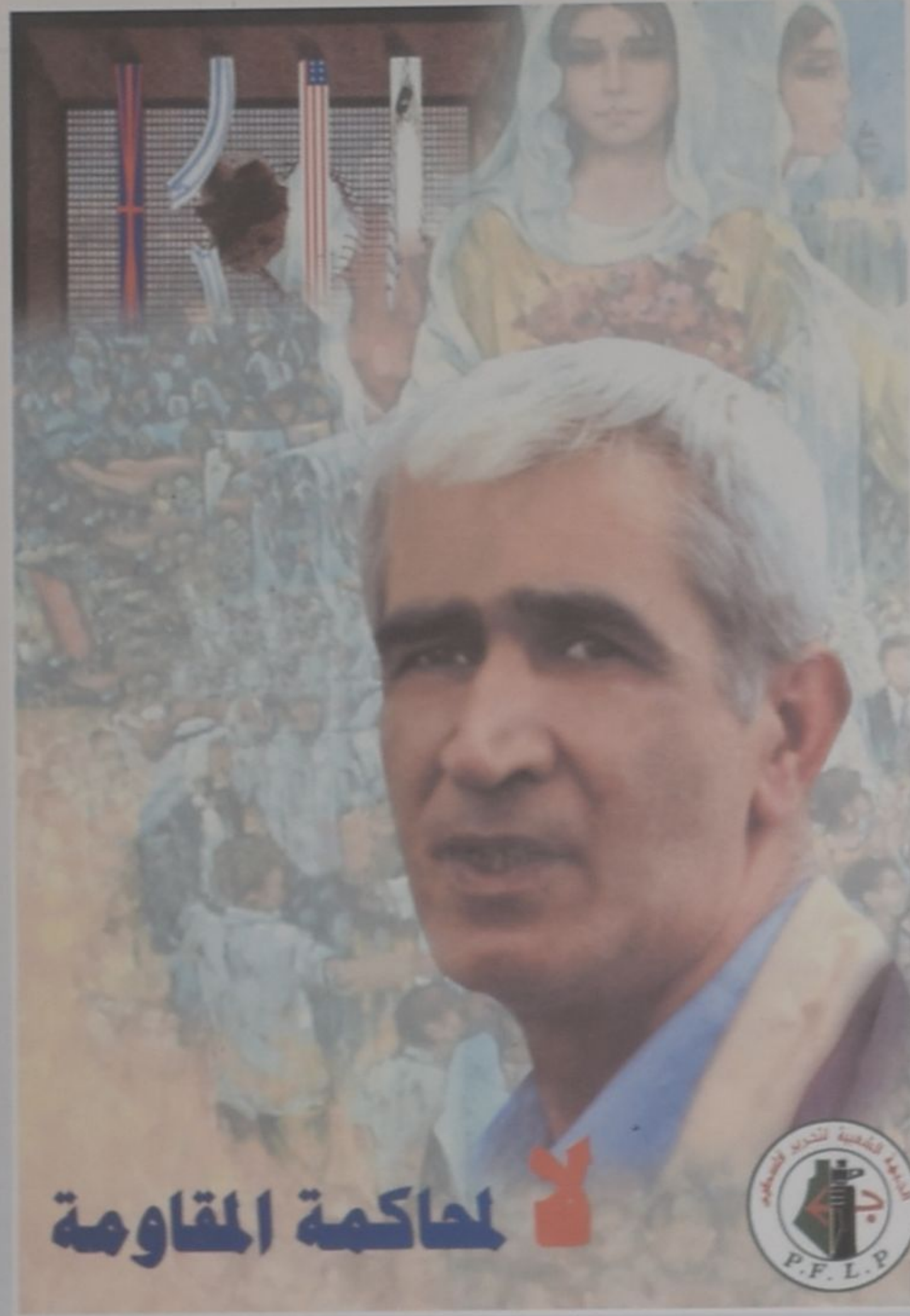
المناضل باسل الأسمر



المناضل مجدي الريماوي



المناضل حمدي القرعان



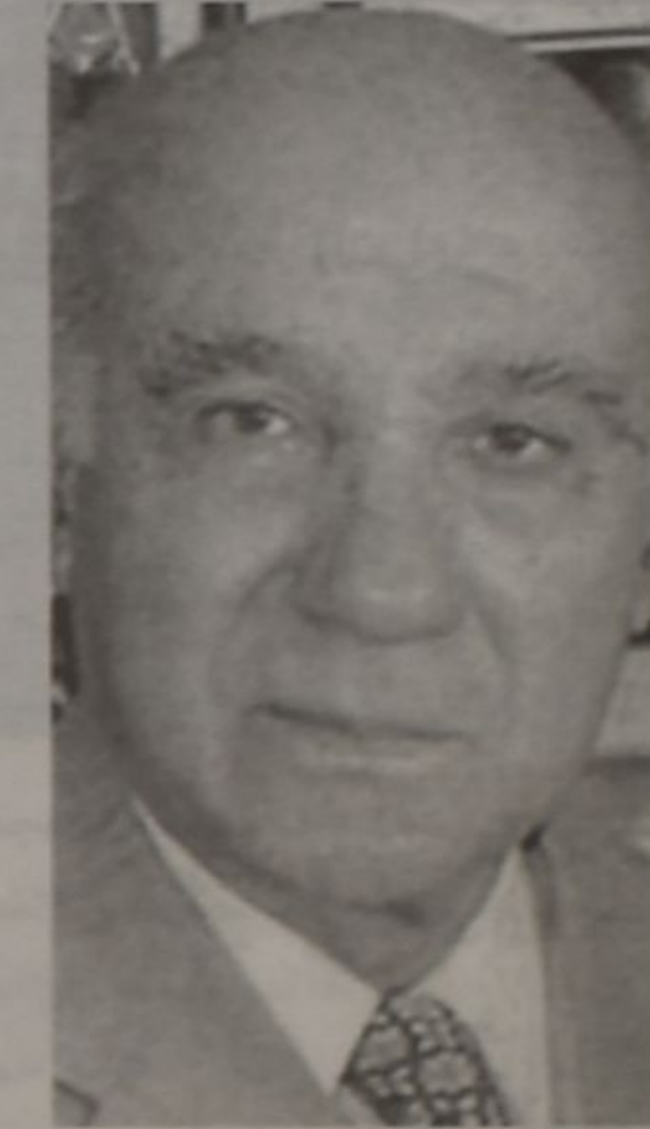
الحكمة المقاومة



العريّة لسجناء العريّة

وكاعاً إسماعيل شموط ريشة فلسطين العرة

ناصر الحارثي



بعد مسيرة مشرقة ورحلة عطاء لا ينضب، توقفت ريشة فلسطين عن الرسم، وتوقف قلب إسماعيل شموط بعدد ٥٥ عاماً رسم بها فلسطين وقضيتها، زكشها، وعكس الامها ومعاناتها وأيضاً جمال روحها.

واسماعيل شموط، المولود في اللد المحتلة، عام ١٩٣٠، حملته مخالب النكبة من مسقط رأسه لتحوّله لاجئاً في مخيم خان يونس في قطاع غزة. وتعبيراً عن موهبة تفتحت باكراً درس الرسم ما بين ١٩٢٦-١٩٥٠ في كلية الفنون الجميلة في القاهرة، ليكمل دراسته بعدها في أكاديمية الفنون الجميلة بروما.

وقد أقام أول معرض للوحاته في مدينة غزة عام ١٩٥٣، ليتبعه بمعرض ثانٍ في القاهرة بمشاركة زميلته - التي أصبحت زوجته وصنفته وكفاحه

- تمام الأكل، وكان المعرض برعاية الرئيس الراحل جمال عبد الناصر الذي اقتنحه شخصياً.

عام ١٩٥٩، تزوج إسماعيل شموط من زميلته تمام الأكل ليبدأ معاً صياغة تاريخ جديد للفن التشكيلي الفلسطيني.

عام ١٩٦٩، انتخب أول أمين عام لاتحاد الفنانين التشكيليين الفلسطينيين، ثم أول أمين عام لاتحاد الفنانين التشكيليين العرب عام ١٩٧١.

ما بين ١٩٥٧ - ١٩٩٥ أنتج كما هائلاً من اللوحات وعدداً من المؤلفات والكتابات في الفن والثقافة والتراث، وما بين ١٩٥٣ حتى ١٩٩٨ أقام معارضه الشخصية وبمشاركة الفنانة تمام الأكل



في معظم البلدان العربية وعدد كبير من دول العالم.

حصل على درع الثورة للفنون والآداب وعلى وسام القدس وجائزة فلسطين للفنون، وجوائز عربية ودولية عديدة.

لم يكن إسماعيل شموط رساماً فلسطينياً، بل كان رساماً فلسطينياً بالأحرى تماهى معها فجسدها في آلاف اللوحات قاصراً فنه على قضيته التي عاش من أجلها، بل لعله كان ريشة فلسطين التي ترسم بها مسيرة الامها، وتعكس جمال روحها وشغفها بالحياة، شغف لا يلين ولا تشوّهه الماسي.

ولعله في كفاحه وما صنعه لنفسه ووطنه، يجسد كما غيره من عمالقة فلسطين هذه الإرادة الحرة العصية على الموت، الإرادة التي بفضلها فقط تحول اللاجئ إلى مقاوم كبير ورسام فذ

وكاتب شهير.

فصارت مسيرة إسماعيل شموط صورة واقعية كما فنه البسيط الواقعي والفذ في أن معاً مسيرة شعبه ووطنه، تاريخ طويل ومجيد ومشرف لرواية شعب مناضل عنيد على ما وصفه المرحوم محمد محظية، وقد كتب عنه المستشرق الشهير د. أناتولي بغدانوف: «إن ما يميز أعمال إسماعيل شموط السيطرة على لوحاته.. فعجنتها اللونية (رائدة) لمناخ البناء اللوني العام، وتمنحه قدرة على إيصال الفكرة بتعبير مأساوي خاص».

والى ذلك كان شموط أباً حقيقياً للفن الفلسطيني على ما قاله الزميل أحمد بزّون حيث لم يكن مهموماً بنفسه وإنتاجه فقط، لأنه سخر نفسه إضافة إلى ذلك من أجل احتضان تجارب عدد كبير من الفنانين الفلسطينيين، ولم يكتف بالرسم بل غني أكثر من ذلك بتأسيس تاريخ التشكيل الفلسطيني، عن طريق تقديم موسي ورواد الفن الفلسطيني وتأليف عدد من الكتب تتناول بالبحث والتدقيق تاريخ هذا الفن بمستوياته الشعبي والنخبوي.

وريادته كانت دائمة، فسخر ثورة التكنولوجيا في إنتاج مئات اللوحات الجرافيكية التي حافظ فيها على روح أسلوبه وملامحه الأساسية.

وبفقدته تجزّع فلسطين وتلبس السواد، فقد تكلمت من جديد بواحد من أبنائها البررة..

رحم الله إسماعيل شموط، ولنا في تراثه العظيم موساة وتعزية.

لعنة قانا

أحمد م. م. م.

الأنبياء الصغار... فلذات أكبادنا الذين صلبوا اليوم في قانا، دمهم علينا، وثأرهم في أعناقنا..

جثث الأطفال في قانا، هي علامة النهاية وعلامة البداية.. نهاية تاريخ من السلام المذل، وبداية - يجب أن تكون - لتاريخ جديد من المقاومة والصمود والرفض..

جثث الأطفال في قانا، ليست شعارات في السياسة ولا تصلح عناوين للأخبار.. هي علامة الجرح في ضمير العالم.. ورمزية الرحمة التي يجب أن تطلق على الصمت العاجز، والإرادة العاهرة المستكينة لذل وخضوع.

وجه قانا حزين في اليوم التاسع عشر لقيامه لبنان، وجه قانا غاضب، لوحته الشمس وغطته الدماء.. وجه قانا دموع..

العالم الذي بلا ملامح، اليوم تعطيه قانا بعضاً من تقاسيمها وتعطيه معناه.. ما معنى السلام اليوم.. الأمن.. العدالة.. ما معنى وقف إطلاق النار؟

أطفال قانا يحاكمون العالم اليوم، يحاكمون العدمية الفجة في الذهاب في الجريمة إلى آخرها.. عنف الإبادة المنظمة التي تنتهجها عصابة واشنطن - تل أبيب.

أطفال قانا يصرخون في وجوهنا.. دما عليكم... فتلغوا بالسواد أيها الباقون.. تلغوا بالنار الذي لا ينام ولا يموت..

أطفال قانا.. لن يسامحونا في دمهم.. ولن يسامحونا في موتهم المروع.. وغيابنا عن صلاة جنازتهم..

ملعونة أنت يا أمريكا.. ملعونة أنت.. مع كل مطلع شمس، مغمس بالعار تاريخك، ومجبول بالفضيحة مجدك..

ملعونة أنت يا حمالة الحطب..

فقاتلوهم أيها اللبنانيون.. قاتلوهم أيها الفلسطينيون.. قاتلوهم أينما ثقفتموهم..

كرمي لأطفال قانا... لا نصالح.

